

سلسلة كتب الإسلام ووطن
الكتاب التسعون بعد المائة

مجموع مسند مؤيد

رواية مشكاة
تحاول التعرف على بنية العقل السافي

الجزء الثاني

د. نور الدين أبو يحيى

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير والاقتباس
والترجمة والنقل محفوظة لمشيخة الطريقة العزمية

الطبعة الأولى

ربيع ثمان ١٤٣٧ هـ - يناير ٢٠١٦ م

عنوان الكتاب	لحوم مسمومة
المؤلف	أ.د. نور الدين أبو لحية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التأليفون	٠٢/٢٣٩٠١٠٣٠

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد، صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهادين المهديين، وبعد:

بعد أن استفرغ السائق كل جهوده لإرضاء ربيع وجد نفسه كمن يريد أن يحرث في اليباب، أو يشرب من السراب.. التقت إليه، وقال: أظن أنك لن تجد عندي ما تريد البحث عنه.. أنا أعرف جيداً ما تبحث عنه.. وقد عشت فترة من عمري أنهل من المنابع التي تنهل منها.. لكنني بعد أن عاد إلي عقلي، وتداركتني رحمة ربي تركتها جميعاً، وعدت إلى المورد العذب الذي أنزله الله على عباده لأستقي منه، وأدع ما ينفرنني منه أو يبعدي عنه. قال ربيع: ما تقول يا رجل.. أنتهمني في عقلي.. أم تحسب

أنك هديت إلى الحكمة التي ضللت عنها.. ويلك لعلك ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، أو كمثل من شبههم بالحمير، فقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥].

قال السائق: إن الله تعالى لم يحدد في هذه الآية لا أنا ولا أنت.. ولا العلماء الذين أرتضوهم، ولا العلماء الذين ترتضوهم..

وإن من التآلي على الله أن أزعم أن تلك الآيات تتطبق علي أو عليك.

إن الله تعالى بعدله ورحمته ترك لنا الفرصة لنحدد بكامل حريتنا ما نراه من مواقف.. لأننا نحاسب يوم القيامة على مواقفنا كما نحاسب على أعمالنا.

قال ربيع متهمًا: أراك بارعًا في الوعظ.. فهلا تركت هذه المهنة وذهبت إلى المساجد لتخطب فيها.. لا ينقصك سوى أن ترسل لحيتك، وترتدي ما أرثديه من ثياب.

قال السائق: أنا أحترم وظيفتي، وأحترم قدراتي، ولا أتجرأ على منصب لا أرى نفسي أهلاً له.. أنا مجرد سائق.. وفقني الله لأشغل أوقات سفري بالتعلم على مجالس العلم..

قاطع ربيع قائلاً: بل مجالس الجهل.. فلو أنك بدلها وضعت أفلاماً إباحية.. أو أغان خليعة لكان أجدي لك عند ربك.. لأنك ستموت حينها فاسقاً.. أما الآن فلا أظن إلا أنك ستموت كافرًا، فمن يستمع لمن تستمع إليه من الكفرة لن يطمع في نجاة.. ولن يشم يوم القيامة ريح الجنة..

قال السائق: لا بأس يا بني.. قل ما شئت.. وأنا أعذرك.. فلست أنت الذي تتحدث.. إن الذي يتحدث بذلك هم أولئك الذين أتيجت لهم كل الكراسي والمجالس والمنابر والمناصب ليحولوا الأمة جميعاً إلى قطعان ذئاب ينهش بعضها لحم بعض، ويسفك بعضها دماء بعض.

قال ربيع: لا أرى هذه الجرأة منك على لحوم العلماء المسمومة إلا قائدًا لك إلى جهنم، وبئس المصير..

ثم أشار إلي أن نازل من الحافلة، وهو يقول: وأنا وأخي هذا
أكرم على الله من أن نضيع وقتنا معك.. فلا أظن حافلتكم هذه
ستصل بكم إلى بر الأمان.. فمن تجرأ على العلماء سيلقى وبال
جرأته في الدنيا قبل الآخرة.

نزلنا من الحافلة.. وبقينا في المحطة مدة يسيرة وجدنا بعدها
سائقاً جلفاً غليظاً لا يكتف عن صاحبي.. اقتربنا منه، وسألناه
عن نوع الأشرطة التي يضعها في الحافلة، فأجابنا بكل جفاء: أنا
لا أعرف إلا الفرقة الناجية.. فداها أبي وأمي.. فنحن نبدأ بها،
وننتهي بها، فمن أعجبه كان معنا، ومن لم يعجبه فإلى جهنم
وبئس المصير.

امتألاً صاحبي سروراً، وقال: رأيت كيف أخرجنا الله من
ظلمات الجهلة.. وزج بنا في أنوار العلماء المحققين؟.. لقد قلت
لك يوماً: سر معي مغمض العينين.. فإله تعالى يحيطنا بعنايته ما
دما في رحاب الفرقة الناجية.

ركبنا الحافلة، وسرعان ما امتألت بالركاب..

التهديب والتصفية

نظر السائق إلى الركاب، وفي يده شريط فيديو، وهو يقول: أبشركم.. اليوم تمكنت من إحضار هذا الشريط.. إنه يتحدث عن المرحلة الأولى في التغيير.. المرحلة التي سماها شيخنا الألباني (مرحلة التصفية).. فلا يمكن لأحد أن يضع قدمه في الإسلام قبل أن يمر بها.. أنا شخصياً - لولا مروري بهذه المرحلة - لكنت الآن ضالاً زنديقاً مبتدعاً، فقد كنت أحسن الظن بكل من أراه يلبس لباس العلماء.. لكني أيقنت أن تسعة أعشارهم كفار أو زنادقة أو مبتدعة.. سأدعكم مع الشريط، لتعرفوا قيمة هذه المرحلة وأهميتها.. ركزوا جيداً؛ لأنكم ستسمعون أسماء كثيرة كنتم تحسنون الظن بها.. من المستحسن أن تحملوا أقلاماً لتكتبوا بالقلم الأحمر الأسماء التي يذكرها حتى تحذروا منها، وتحذروا غيركم.

قال ذلك، ثم وضع الشريط..

ظهرت حلقة تحوي شيوخاً وكهولاً كلهم بهيئة واحدة.. وكان يتوسطهم شاب يحمل بيده مجموعة من الملفات، ابتداءً الحديث بقوله: نجتمع اليوم في مجلس التهديب والتصفية التاسع والتسعين بعد المائة للنظر في ملفات بعض من صار لهم صيت في المجتمع، أو أحنى الناس رؤوسهم ليستمعوا لهم، أو يستفيدوا منهم ظناً منهم أنهم ثقافة هداة مهتدين.. وبما أن منهجنا - كما ينص عليه شيخنا الألباني وغيره من أعلام السلف - يبدأ وينتهي باستئصال كل من ليس له علاقة بالدين الصحيح، فقد اجتمعنا

اليوم لدراسة هذه الملفات.

قال أحد الشيوخ: صدقت.. لقد تتلمذت على الشيخ الألباني، وكان يأمرنا بأن نعطي أكثر أوقاتنا للتصفية^(١).. حتى لا يخذعنا أحد من المنافقين والزنادقة..

قال آخر: صدقت.. أذكر ذلك جيداً.. ومن ذلك الوقت.. ونحن نحمل المناخل التي نصفي بها الدين من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

قال آخر: وقد أسسنا لذلك اللجان الكثيرة التي تراقب حركة كل علم يلتفت الناس حوله لنحصى عليه أنفاسه.. فإن بدرت منه أي بادرة أخرجناه من الملة، أو زججناه في جحيم أهل البدعة.. واعتبرنا التحذير منه طاعة.. والكلام في عرضه أقوم بضاعة.

قال آخر: صدقت.. فنحن نأتمر في هذا بقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَلَا تَجَادَلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ (النساء: ١٠٩)، فهذه الآية العظيمة ونظائرها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ جرح للخائنين، وأنه لا يجوز الجدل عنهم، وأن من جادل عنهم عليه التوبة إلى الله والاستغفار من ذنبه؛ لأنه جادل عن الخونة الأثمين الذين يبييتون ما لا يرضاه الله من الأقوال المخالفة والأفعال المخادعة الماكرة وسواء كان فعله بدهاء ومكر، أو

(١) للاطلاع على بعض تصريحات الألباني حول ذلك انظر: موقع تراث الألباني، على: <http://www.alalbany.net/٤٩٥٤>

بغباوة وجهل.

قال آخر: بل إن الله تعالى علمنا كيف نفتدي به سبحانه وتعالى في هذه المهمة الخطيرة.. فالله تعالى قد جرح الكثير من المنحرفين عن دينه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية ٣٤)، وقال: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَآلِهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)، وقال: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكُهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦)، وغيرها من الآيات الكثيرة.

قال آخر: ونحن نأتمر في ذلك أيضًا بأمر رسول الله ﷺ الذي كان يدعو إلى تجريح من يستحق التجريح، ففي الحديث قال ﷺ: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)^(١)، وقال: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا من العباد، ولكن

(١) رواه مسلم.

يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا^(١)، وقال: (إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان)^(٢)، وغيرها من الأحاديث.

قال آخر: وأخبر رسول الله ﷺ عما يحصل في آخر الزمان، فقال: (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة)^(٣).

قال آخر: وبناء على هذا، فقد التزم سلفنا من أهل الحديث هذه الوصايا من دون سائر الناس.. فكان لهم وحدهم - بحكم وراثته نبيهم والوصاية على دينه - حق الجرح والتعديل.. فمن جرحوه فهو المجروح.. ومن عدلوه فهو الثقة.

قال آخر: صدقت.. وقد رويت في ذلك عن أبي قلابة أنه كان يقول: (إن أهل الأهواء أهل ضلالة ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار)

قال آخر: ورويت بسند صحيح عن أسماء بن عبيد قال: دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومن، قال: فخرجنا فقال بعض القوم: يا

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الطبراني في الكبير والبخاري رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

أبا بكر وما كان عليك أن يقرأ عليك آية من كتاب الله تعالى؟
قال: إني خشيت أن يقرأ علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي.
قال آخر: صدقت.. وقد حدثني من أتق فيه بسنده عن سعيد
عن سلام بن أبي مطيع أن رجلاً من أهل الأهواء قال لأيوب: يا
أبا بكر أسألك عن كلمة؟ قال: فولى وهو يشير بأصبعه: ولا
نصف كلمة، وأشار لنا سعيد بخنصره اليمنى.

قال آخر: صدقت^(١)، فالذي يزهد في الجرح والتعديل إنما
يزهد في السنة، فإذا لم يكن هنالك جرح وتعديل فإن كلام السني
لن يختلف عن كلام البدعي.. لقد فضلنا معشر أهل الحديث بهذا.
قال آخر: صدقت، لا يزهد في هذا العلم إلا رجل جاهل، أو
رجل في قلبه حقد، أو رجل يعلم أنه مجروح فهو ينفر عن
الجرح والتعديل؛ لأنه يعلم أنه مجروح.

قال الشاب الذي يحمل الملفات: بارك الله فيكم مشايخنا الكرام
على هذه المقدمات.. واسمحو لي الآن أن أعرض أمامكم بعض
الملفات الجديدة لنتظروا في تعديل أصحابها أو تجريحهم، مع
العلم أنه قد وردتنا الأخبار أن لدى بعضهم الكثير من الحسنات
والأعمال الصالحة والأقوال الطيبة..

قاطعته شيخ من المشايخ بقوة: لقد قلت لك ألف مرة: لا عبرة
بالحسنات أمام السيئات.. ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿وَقَدَّمْنَا إِلَى مَا
عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].. فكذاك

(١) هذه العبارات وما بعدها منقولة بتصرف من كلام للوداعي في كتابه نصائح وفصائح ص

أعمال هؤلاء حتى لو كانت جبالا من الحسنات، فهي هباء منثور
أمام بدعة واحدة أو كلمة واحدة يقولونها..
قال آخر: صدقت.. وقد سئل شيخنا مقبل الوادعي عن هذا،
فقال: (القوم يعرفون أنهم مجروحون فهم يريدون أن يستروا على
أنفسهم.. المبتدع الضال لا تذكر حسناته ولا كرامته، وهكذا
الكافر).

قال آخر: إن هذا هو منهج جميع سلفنا الصالح، فقد نقل
الخطيب البغدادي في الكفاية قول نافع بن أشرس: (كان يقال: من
عقوبة الكاذب ألا يقبل صدقه)، وعلق عليه بقوله: (وأنا أقول:
من عقوبة الفاسق المبتدع ألا تذكر حسناته)^(١).

قال آخر: وسئل الأوزاعي عن رجل يقول: أنا أجالس أهل
السنة، وأجالس أهل البدع، فقال: (هذا رجل يريد أن يساوي بين
الحق والباطل)، وقد علق عليه ابن بطة بقوله: (صدق
الأوزاعي)^(٢).

قال شاب في آخر الحلقة: لكن الله تعالى قال: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً
مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].

قام شيخ من المشايخ، وصاح بقوة: أخرجوا من بيننا هذا
الصعلوك الدعي.. ما أوقحه.. كيف يستشهد بالقرآن في حضرة
من هم أعلم منه.. أخرجوه.. وحذروا منه الناس.. فلا شك أن به

(١) الكفاية ١١٧.

(٢) الإبانة لابن بطة ٤٥٦/١.

لوثة من جنون.

بمجرد أن قال ذلك قام جمع من الشباب بجره بعنف، وهو يصيح: أنتم لم تفهموني.. أنا فقط كنت أستفسر.. لم أكن أعترض.. دعوني أشرح لكم وجه استدلالتي بالآية. لكن أهدأ لم يكن يستمع لصياحه.. لأن الفتوى صدرت في حقه، ولا تنفعه التوبة بعدها.

قال الشاب الذي يمك الملفات: أرى أن نبدأ الآن في ذكر الأسماء لتعطوا آراءكم حولها.. ولنبدأ بالملف الأول. فتح ملفاً، ثم قال: هذا ملف إبراهيم بن عقيل مفتي مدينة تعز السابق.. وهو..

قاطعته شيخ من المشايخ، وقال: أغلق ملفه.. إنه زنديق صوفي قبوري مشرك حلولي.. وفوق ذلك لا يخرج إلى صلاة الجماعة.

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف أحمد الخليي مفتي عمان، وهو كما تعلمون..

قاطعته شيخ آخر، وقال: لا نعم إلا أنه ضال مبتدع منحرف عن السنة، قد هاجم وطعن في سنة رسول الله ﷺ وقلده في بدعته من قلده.. وهو فوق ذلك إباضي المذهب.. وهو مذهب - كما تعلمون - من مذاهب الخوارج كلاب النار.. فليس هذا الرجل سوى كلب من كلاب النار.

ضحك الجميع.. ثم فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف أمين رضوان، وهو صحفي..

قاطعته شيخ آخر، وقال: وهو فويسق.. ونحن - والله - نشك

في إسلامه.. فمن هو حتى يتحكم في دين الله، ويقول: هذا جائز وهذا ليس بجائز!!.. وهو فوق ذلك حالق للحيته.
قال الشاب: ولكن ذكر في ملفه بأنه أزهري.
قاطعته الشيخ بقوة، وقال: وإن كان أزهرياً، فإنها تعتبر وصمة عار في جبين الأزهر.. وليس هو بأول واحد تخرج في الأزهر من المنحرفين، فما أكثر المنحرفين في الأزهر، وإن كان يوجد فيه حفظة قرآن ويوجد رجال أفضل إلا أن الغالب على الأزهرين الانحراف.
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف جمال الدين الأفغاني، وهو..

قاطعته شيخ، وقال: هذا الرجل أخطب من المعتزلة، هو ومحمد عبده وأحمد أمين.. وهو إلى الكفر أقرب.. وهو ضال مضل هو ومحمد عبده.. وهو الذي أنشأ مدرسة الهوى فلا أقول المدرسة العقلية، فهي مدرسة الهوى^(١)..
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف محمد رشيد رضا.. وهو سلفي الهوى كما تعلمون..

قاطعته شيخ، وقال: بل هو تلقى الهوى.. عقلاني إلى النخاع.. لقد تأثر بالمدرسة العقلية تأثراً كبيراً، وكيف لا يكون الأمر كذلك وهو التلميذ البار لمحمد عبده الذي هو نتاج مدرسة جمال الدين الأفغاني؟
قال شيخ آخر: أجل.. لقد رأيته يشذ شذوذاً بيناً، ويرمي كعب

(١) انظر: قمع المعاند (٣٣٢) وصعقة الزلزال (٤٦/١)، وكلاهما للوادي.

الأخبار ووهب بن منبه بما هما بريئان منه، لقد قال في ذلك: (إن كعب الأخبار كان من زنادقة اليهود الذين أظهروا الإسلام والعبادة لتقبل أقوالهم في الدين، وقد راجت دسائسه وانخدع بها بعض الصحابة فرووا عنه وتناقلوا مروياته بدون إسناد إليه حتى ظن بعض التابعين ومن بعدهم أنها مما سمعوه من النبي ﷺ)^(١).

قال آخر: أجل.. وقد قرأت له قوله: (إن شر رواة هذه الإسرائيليات أو أشدهم تلبيسًا وخداعًا للمسلمين وهب بن منبه وكعب الأخبار، فلا تجد خرافة دخلت في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي في أمور الخلق والتكوين والأنبياء وأقوالهم والفتن والساعة والآخرة إلا منهما مضرب المثل)^(٢).

فتح الشاب ملفًا آخر، وقال: هذا ملف محمود أبو رية.. وهو - كما تعلمون - من الذين ألفوا في الحديث..

قاطعته شيخ، وقال: ويله.. ثم ويله.. والويل واد في جهنم.. لقد صنف هذا الرجل كتابًا أسماه (أضواء على السنة المحمدية)، وما هو إلا ظلمات وترهات، قال فيه بشناعات كثيرة وخزعبلات ساقطة حتى انبرى للرد عليه جماعة من أهل العلم، كالعلامة محمد عبد الرزاق حمزة، والعلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي في (الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزل والتظليل والمجازفة)، والأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه

(١) مجلة المنار (٢٧ / ٥٤١)

(٢) مجلة المنار (٢٧ / ٧٨٣)

في (دفاع عن السنة).

قال آخر: أظن أنه اقتات على فتات الرافضة والمستشرقين، وقد شحن كتابه بثلب عدد من الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان.. وكان لكعب الأحبار نصيب وافر وقسط كبير من سبه واتهامه بالنفاق.

قال آخر: أجل.. وقد قرأت له قوله في كعب وإخوانه من أئمة العلم: (أخذ أولئك الأحبار يبتون في الدين الإسلامي أكاذيب وترهات يدعون مرة أنها في كتابهم ومن مكنون علمهم، ويدعون أخرى أنها مما سمعوه من النبي ﷺ وهي في الحقيقة من مفترياتهم)^(١)، وقال: (لما قدم كعب إلى المدينة في عهد عمر وأظهر إسلامه أخذ يعمل في دهاء ومكر، ولما أسلم من أجله من إفساد الدين وافتراء الكذب على النبي ﷺ)^(٢)، وقال: (وقد استطاع أن يدس من الخرافات والأوهام والأكاذيب في الدين ما امتلأت به كتب التفسير والحديث فشوهتها وأدخلت الشك إليها)^(٣).

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف حسن السقاف.. وهو كما تعلمون..

قاطعته شيخ، وقال: لا نعلم إلا أنه صوفي ضال مضل داع إلى الضلال وإلى التمسح بترربة الموتى وإلى تضليل العلماء، وقد جمع بين التصوف وبين محاربة السنة وهو رجل لا يعتمد

(١) أضواء على السنة. (ص ١١٠)..

(٢) أضواء على السنة. (ص ١١٥)..

(٣) أضواء على السنة. (ص ١٢٦)..

عليه^(١).

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف خالد محمد خالد، وهو..

قاطعته شيخ، وقال: أعرفه جيداً.. إنه رجل مضل، وهو الذي ألف كتاب (رجال حول الرسول)، فهو شخص لا يعتمد عليه.. ثم إننا لا ينبغي أن نقلد رجلاً عصرياً ضائعاً مائعاً.

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف أحمد زيني دحلان.. وهو..

قاطعته شيخ، وقال: من علماء السوء.. أعرف أنه زائف وداعية إلى الضلال ومدافع عن الضلال، وله كتاب (الدرر السننية في الرد على الوهابية).. ولأخينا في الله (أبي عبد الله) كتاب قيم في الرد عليه اسمه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان).. وقد كان مقلداً؛ وداعية إلى التقليد^(٢).

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف محمود شلتوت، وهو.. قاطعه شيخ، وقال: هذا الرجل من أفراخ الملاحدة.. وقد كتب فيه بعض إخواننا كتاباً سماه (إعلام الأنام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام)^(٣).. وفوق ذلك هو صاحب تلك الفتوى الملعونة في جواز التعبد بدين الشيعة.. والتي حاولنا بكل الوسائل طمسها، لكنها لا تزيد إلا انتشاراً.

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الله بن محفوظ

(١) غارة الأشرطة (٢/٢٧٢ ٢٧٦).

(٢) غارة الأشرطة (٢/٤٢٦).

(٣) إسكات الكلب العاوي ص (١٢٥)

الحداد.. مفتي حصرموت، وهو..

قاطعته شيخ، وقال: دجال ضال صوفي مبتدع زائغ منحرف..
كتب في بعض الجرائد - بالخط العريض - بأن الديمقراطية لا
تتنافي مع تعاليم الإسلام، ولم يكتف بهذا حتى أصبح يحارب أهل
السنة وله طامات غير ذلك.

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الله الأهدل..

وهو..

قاطعته شيخ، وقال: مغفل كذاب.. أخشى أن يكون صوفياً
مدسوس في صفوف السلفية، فكلامه ليس كلام رجل يخاف الله،
ويعلم أنه محسوب عليه.. هو الآن خارجي معتزلي شيعي..
فالمعتزلة هم الذين يحثون الناس على الخروج على الحكام..
وهو ليس من العلماء ولا كرامة، بل لا يجوز أن يحضروا
محاضراته ومجالسه فهو كذاب أشر.

قال شيخ آخر: صدقت.. فهو رجل محترق، وسيحترق اليوم
أو غداً إن شاء الله، فلم يفتّر أحد مثلما افترى على أهل السنة^(١).

فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الباسط عبد

الصمد.. وهو..

قاطعته شيخ، وقال: أنا أنصح بقراءة القراء المتقين الذين
يقروون قراءة سليمة، ولا يمتطون كما يصنع عبد الباسط عبد
الصمد.. لأن قراءته يكرهها السلف.

قال آخر: وقد سمعت أنه ذهب إلى إيران وقال في أذانه

(١) فضائح ونصائح ص ١٤٠، ١٤٢، ١٦٠.

(أشهد أن علياً ولي الله)؛ فهو يعمل بالبدعة المنكرة، ولا يبالي^(١).. فكيف يسمع القرآن من مثل هذا الأبق؟
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحمن عبد الخالق.. وهو كما تعلمون من إخواننا السلفيين..
قاطعته شيخ، وقال: لا جزاه الله خيراً.. كان سلفياً.. لكنه الآن أصبح سلفطياً؛ لأنه قد أخذ بالانتخابات؛ والانتخابات من الديمقراطية.

قال آخر: يجب عليه أن يتقي الله، وأن يترك الدعوة إلى الله، فإني أرى أن مثله ينبغي أن يتقاعد وإن كان صغيراً فقد صار ضرره أعظم من نفعه، وينبغي أن يحجر عليه لكثرة فساده على الدعوات الأخرى القائمة على الكتاب والسنة، وننصحه أن يتوب إلى الله ويبتعد عن هذه الحزبيات المغلفة^(٢).
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحيم البرعي.. وهو..

قاطعته شيخ، وقال: ضال من كبار المخرفين وديوانه منشور مشهور فيه الاستغاثة بغير الله وفيه البدع والمنكرات^(٣).
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحيم الطحان.. وهو..

قاطعته شيخ، وقال: ما هو إلا بدعة، ويأتي بالبدعة، ويجادل عن الضلال.. وأنا الآن أسود كتاباً في التحذير منه بعنوانه (إقامة

(١) المخرج من الفتنة ص ١٩..

(٢) فضائح ونصائح ص ٤٩، ٥٤..

(٣) غارة الأشرطة (٢/٢٤٢).

البرهان على ضلال عبد الرحيم الطحان)
قال آخر: صدقت.. هو جويهل مجادل بالباطل دساس كذاب
خائن.. لا يجوز لأحد أن يحضر دروسه ومحاضراته.
قال آخر: صدقت.. ففيه نزعة صوفية.. ولا شك أنه مبتدع..
وأبشركم بأن أهل العلم طحنوا الطحان، وسلموا منه، وهو الآن
خامد في قطر^(١).
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الرحيم الشرعبي..
وهو..

قاطعته شيخ، وقال: عندي كلمة كبيرة تجلجل في صدري، ولا
أحب أن أطمه بها؛ ولكن إذا كتب في مجلة الفرقان فإن شاء الله
سأوجهها إليه^(٢).
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف عبد الكريم زيدان..
وهو..

قاطعته شيخ، وقال: ديمقراطي.. لا بارك الله فيه.. فويسق
حالق للحيته.. لابس البنطلون والكرفته.. لا تميز بينه وبين
النصراني.. شكله شكل نصراني.. لو كان لي حكومة لرحلت هذا
المنبوذ من اليمن.. هو قمامة أتى به إلى اليمن^(٣).
فتح الشاب ملفاً آخر، وقال: هذا ملف محمد الغزالي.. وهو..
قاطعته شيخ، وقال: ضال ملحد ملبس لا يعتمد عليه.. انحرف
على علم.. خبيث وكتابه كتاب ضلال.. وهو رجل داعية كبير

(١) فضائح ونصائح ص ٢٤٩، ٢٥٠..

(٢) تحفة المجيب ص ٢٠٠..

(٣) تحفة المجيب ص ٢٧٦، ٣٢٠، ٣٢١..

إلى الضلال.. وكتبه كأنها مجلات.. لقد رأيته يسخر من طلبه العلم، ويعتبر السنة ركامًا..

قال آخر: والأخطر من ذلك أنه من دعاة التقارب مع الرافضة، وقد ساهم في بعض كتبه في نشر فتوى محمود شلتوت الخطيرة، والتي نص فيها على أن (مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، مذهب يجوز التعبد به شرعًا كسائر المذاهب، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة)^(١).

قال آخر: أجل.. وقد علق على تلك الفتوى بقوله: (واعتقد ان فتوى الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت، قطعت شوطًا واسعًا في هذا السبيل، واستتفاف لجهد المخلصين من أهل السلطة وأهل العلم جميعًا، وتكذيب لما يتوقعه المستشرقون، من أن الأحقاد سوف تآكل الأمة، قبل أن تلتقي صفوفها تحت راية واحدة... وهذه الفتوى في نظري، بداية الطريق وأول العمل)^(٢).

قال آخر: بل إنه دعا إلى نفس ما دعا إليه الشيخ شلتوت من إتاحة الحرية الدينية بين المسلمين، فقال: (إن السلف والخلف

(١) وقد صرح مفتي مصر السابق الشيخ علي جمعة - كما ورد في شبكة إشارة الأخبارية، بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٥م - بنفس الفتوى قائلاً: (يجوز التعبد بالمذاهب الشيعية ولا حرج، وقد أفتى بهذا شيخ الأزهر لراحل محمود شلتوت، فالأمة الإسلامية جسد واحد، لا فرق فيه بين سني وشيعي، طالما أن الجميع يصلّي صلاة واحدة ويتّجه لقبله واحدة، وأن الشيعة كانوا دائماً جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية)

(٢) دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة: الأولى، ص ٢٥٧.

وأهل السنة والشيعة والمتصوفة والمتفلسفة كلهم يرى أنه يخدم الإسلام ويناصر نبيه ﷺ، ويرفع رأيته، ومن الصعب إقناع الحرفيين من أهل النص بأن مذهب العقلين أولى بالحق وكذلك العكس، ومن الصعب إقناع العاطفيين من أصحاب القلوب أن مذهب أهل الفقه أدق وأجدر بالاستمساك، وكذلك العكس، ومن الصعب إقناع الشيعة الذائبين في محبة آل البيت أن النظام الجمهوري في اختيار الإمام وعزله أولى من الالتفاف حول قريب للرسول ﷺ تضافى عليه العصمة، وكذلك العكس، ونحن نرفض في التعليق على مذاهب أولئك جميعاً قول الشاعر: وكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تفر لهم بذاكا، كما نرفض اعتبار الحق سائلاً يتلون مع كل إناء، وأنه ليست له حدود قائمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها^(١).

قال آخر: بل إنه في موقف آخر صرح تصريحا لا يقل عن تصريح محمود شلتوت، فقال: (ولقد رأيت أن أقوم بعمل إيجابي حاسم سداً لهذه الفجوة التي صنعتها الأوهام، فرأيت أن تتولى وزارة الأوقاف ضم المذهب الفقهي للشيعة الإمامية إلى فقه المذاهب الأربعة، وستتولى إدارة الثقافة تقديم أبواب العبادات والمعاملات في هذا الفقه الإسلامي لمجتهدين من إخواننا الشيعة، وسيرى أولو الألباب عند مطالعة هذه الجهود العلمية أن الشبه قريب بين ما ألفنا من قراءات فقهية، وبين ما باعدتنا عنه

(١) المرجع السابق، ص ١٧٣.

الأحداث السيئة^(١).

قال آخر: بعد كل هذه الجرائم أرى أن نخرج هذا الرجل من
الملة تمامًا.. فنرتاح منه.. فلا يحل لمثله أن يكون من المسلمين.
فتح الشاب ملفًا آخر، وقال: هذا ملف محمد زاهد الكوثري..
وهو..

قاطعه شيخ، وقال: مخرف وينصر الباطل ويعطل الأسماء
والصفات.. لاكثر الله بالرجال من أمثاله.. يطعن في الإمام
مالك.. زاهد في السنة بل محارب للسنة ولأهل السنة.
قال آخر: صدقت.. فهو رجل ضال مضل من أضل علماء
الأمة.. وقد كتبت في الرد عليه كتابي (التكليل لما في تأنيب
الكوثري من الأباطيل)

بقينا نستمع لأمثال هذه الحديث ساعتين كاملتين إلى أن من
الله علينا بالوصول إلى محطة في الطريق لنستريح.. وقد رأيت
الكلل والملل في وجوه الركاب..
وعندما نزلنا اقتربت من بعضهم، لأرى موقفه، فسمعته يقول
صاحبه: أهذا هو الإسلام؟.. لقد كنت أحسب أن المسلمين يحترم
بعضهم بعضًا.. لكني اليوم، وفي هاتين الساعتين الثقيلتين غيرت
رأيي تمامًا.

قال صاحبه: صدقت.. وقد قررت في خلال هاتين الساعتين
أن أمنع أولادي من الذهاب إلى المساجد أو الاستماع للفتوات

(١) كيف نفهم الإسلام، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى، ص ١١٨.

الدينية حتى لا يقعوا في أي شيء يخرجهم عن دينهم.. فما أكثر الدجالين في هذا العصر.

اقتربت من مجموعة أخرى، فسمعت بعضهم يضحك بسخرية، ويقول: ألم أقل لكم: إن الحل في بلادنا هو العلمانية.. فلا يمكن للمسلمين أن يحققوا مجتمعاً متماسكاً.. ألا ترون كيف يحاربون بعضهم بعضاً؟

قال آخر: صدقت.. واليوم.. وفي هاتين الساعتين اقتنعت تماماً بكل ما تقول.. لقد كنت أخالفك لأنني كنت أرى الدين بعيون القرآن الذي ملك علي كل قلبي.. لكني بعد أن رأيت رجال الدين أيقنت أنه لا حل لنا إلا في العلمانية.. فلو تسلط هؤلاء علينا لعلقونا في حبال المشانق.

اغتيال العقول

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر، آثروا البقاء في الصحراء على ما يفرض عليهم سماعه ومشاهدته.. أخرج السائق شريطاً جديداً، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطاً آخر.. يخرجكم من ظلمات الجهل والغواية إلى نور العلم والهداية.. إنه يبين دور سلفنا الصالح في نصرته النقل، وحرب العقل.. ونصرة المنطق القرآني، ونقض المنطق اليوناني.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لقاعة محاضرات فاخرة، يقف على منصتها مجموعة من الناس لا يختلفون في هيئتهم عن المجموعة التي رأيناها في الشريط السابق إلا أنهم أكثر شباباً، وأجمل هنداماً، وأقرب إلى عصرنا هذا منهم إلى العصور السابقة.

تكلم أحدهم، ويبدو أنه المقدم فيهم، فقال: يشرفني اليوم، ومن هذا المجلس أن أرف إليكم بشارة تأسيس جمعيتنا الجديدة، والتي سميناهـا (الجمعية النقلية لحرب العلوم العقلية)، والحمد لله، فقد تمكنا في وقت قصير - وبواسطة بعض المحسنين داخل البلاد وخارجها - أن نشترى لها الكثير من المقار، بما فيها هذا المقر الذي تجلسون فيه.

لن أطيل عليكم.. سيتقدم أعضاء الجمعية، ليعرفوكم بأهدافها وسياستها ومشاريعها المستقبلية.. كل في المجال الذي تخصص فيه.

المسؤول الشرعي:

تقدم الأول، وقال: أنا المسؤول الشرعي في الجمعية، ودوري فيها واضح، وهو تسليط النقل على العقل، أو تسليط سيف الفتوى الشرعية على أصحاب المناهج العقلية.. وقد رأيت من خلال تنبعي لأثار أسلافنا في هذا أن هناك ثلاث واجبات علي وعلى الفريق المساند لي أن نقوم بها^(١).

أولها: رفض الفلسفة وتكفير رجالها والتحذير منهم، باعتبارهم من أكبر منابع العقلانية..

ولنا في هذا - بحمد الله - الكثير من الفتاوى الجاهزة من كبار أعلام الأمة، وليس علينا سوى نشرها وإداعتها، بل وتحفيظها للصبيان حتى يشبوا، وهم يبغضون العقلانيين من أول نشأتهم.

قلب بعض الصفحات أمامه، ثم قال: لدينا - مثلاً - فتوى العلامة الحافظ أبي عمرو بن الصلاح الذي أصدر هذه الفتوى المهمة، والتي تنص على أن (الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، والزيغ والزندقة.. ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبس بها قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة

(١) كثير من المادة العلمية في هذا الفصل رجعت فيها لمرجع معتمد لدى التيارات السلفية: مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي، ق: ٢-١٣هـ، الدكتور خالد كبير علال، دار المحتسب، ٢٠٠٨.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم (١).

ولم يكتف بذلك، بل راح يكفر الفلاسفة، ومن سار على نهجهم، ويرميهم بالعظائم، ومن ذلك قوله في ابن سينا: (لم يكن من علماء الإسلام، بل كان شيطاناً من شياطين الإنس) (٢).

قلب صفحات من الملف الذي يحمله، ثم قال: هناك فتاوى أخرى كثيرة هنا.. سنحاول نشرها.. منها فتاوى لشيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية الذي اشتد في انتقاد الفلاسفة وذمهم، وفضحهم في كثير من مصنفاة.. وقد وصف ابن سينا وأمثاله بالمرتدين والمنافقين، واعتبر نصير الدين الطوسي من رؤوس الملاحدة المسلمين الصابئة عبدة النجوم والكواكب (٣).

ومنها فتاوى للحافظ شمس الدين الذهبي الذي حرّم الاشتغال بكثير من علوم الأوائل كالإلهيات والكيمياء.. وأطلق على الفلسفة (الحكمة المشؤومة)، واعتبر الجهل خيراً منها، ووصفها بأنها بلاء وهذيان، ومن طلب فيها الهدى أضله الله (٤).

ومنها فتاوى للحافظ ابن كثير الذي لعن الفلاسفة، ونسبهم إلى الجهل وقلة العقل.. وذكر عن الفارابي أن له أفكاراً يخالف فيها المسلمين، (فإن كان مات على ذلك فعليه لعنة الله) (٥).

ومنها فتاوى لعبد المؤمن الجرجاني الذي قال عن الفلاسفة

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص: ١٤٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥ ص: ١٣٧.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى، ج ٢ ص: ٩٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج ٨ ص: ٣٥٩.

(٥) البداية والنهاية، ج ٢ ص: ٧١.

نمّا لهم وتحذيراً منهم: (فأعرض عن الفلاسفة، وعض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفة، فأكثرهم عبدة الطبع، وحرسة الكواكب السبع)^(١).

الثاني: إقصاؤهم من كل شيء له علاقة بالدين، وخصوصاً رواية الحديث.. فهم - حتى لو كانوا أصدق الناس - متهمون في رواياتهم، فلا تقبل أحاديثهم.. وذلك لأن علماءنا من السلف الصالح اتفقوا على تكفير الفلاسفة المشائين لمعتقداتهم المناقضة لدين الإسلام؛ وهذا وحده كاف لرفض رواياتهم الحديثية.

ولهذا جرح يحيى بن معين أحمد بن صالح المصري المعروف بابن الطبري بقوله: كذاب يتفلسف^(٢).. وقال الحافظ ابن ناصر السلامي البغدادي في الفقيه محمد بن زبيبة البغدادي: (كان على عقيدة الفلاسفة لا تجوز الرواية عنه)^(٣).

ولا يغيب على بالكم أن هذا المسلك استخدمه سلفنا الصالح مع كل المنحرفين من أهل الأهواء، ولم يخصصوا به الفلاسفة دون غيرهم، وهذا مشهور عنهم.. ولنا فيهم أسوة حسنة.. ولهذا فإن جمعيتنا سنتبنى هذا المنهج التحذيري حتى يفر كل عقلائي إلى جحره، لا يتكلم في الدين، وإن تكلم فيه لا يسمع له أحد.

ثالثها: وهو الأخطر، التحذير من المنطق الأرسطي الذي تسرب إلى علوم الإسلام بسبب قبول بعض المبتدعة له، كابن حزم الذي دافع عنه في كتابه (التقريب لحدود المنطق)، وأبي

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦ ص: ٣٠٩.

(٢) الذهبي: السير، ج ١٢ ص: ١٦٥.

(٣) ابن رجب البغدادي: الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١ ص: ١٦٧.

حامد الغزالي، وهو الأخطر، حيث أدخل المنطق في علم أصول الفقه، فألحق بكتابه (المستصفى) مقدمة منطقية، اعتبرها (مقدمة العلوم كلها، ومن لم يحط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً)^(١).

وقد تصدى سلفنا الصالح من العلماء لهذه الهرطقة، ومنهم الحافظ أبو عمرو بن الصلاح الذي حرّم الاشتغال بالمنطق، وقد قال حين سُئِلَ عن المنطق: (واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة والرقاعات المستحدثة وليس بالأحكام الشرعية افتقار إلى المنطق أصلاً، هو قعاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، فالواجب على السلطان أعزه الله، أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم - ويُخرجهم من المدارس ويُبعدهم)^(٢).

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية الذي حمل حملته الشديدة على المنطق والمناطقة، وذكر أن (المناطقة هم من أجهل أهل الأرض بالطرق التي تُنال بها العلوم العقلية والشرعية، إلا من علم منهم علماً من غير طرقهم المنطقية، فتكون علومه من تلك الجهة، لا من طريق المنطق؛ الذي فيه كثرة التعب في البرهان، وضيق العلم والبيان، والعجز في التصور والتعبير)^(٣).

ومنهم العلامة ابن قيم الجوزية الذي حرّم الاشتغال بالمنطق، بل هجاه بقصيدة ينبغي أن نحفظها لصبياننا كما يحفظ القرآن، ومما جاء فيها:

(١) المستصفى في علم الأصول، ج ١ ص: ٣٢٧.

(٢) الذهبي: السير، ج ٢٣ ص: ١٤٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ج ٩ ص: ١١٤، ١٥٨.

وعجباً لمنطق اليونان
كم فيه من إفك ومن بهتان
مخبّط لحييد الأذهان
ومفسد لفطرة الإنسان
مضطرب الأصول و المباني
على شفا هار بناء الباني
أحوج ما كان إليه العانسي
يخونه في السر و الإعلان
أما فقهاء الأندلس، فقد كان موقفهم شديداً، حيث أنهم كانوا
يمنعون أهل العلم من الاشتغال بالمنطق، حتى أن المناطق كانوا
يُعبرون عن المنطق بغير اسمه، فيسمونه (المفعل) خوفاً من
صولة الفقهاء^(١).

المسؤول العلمي:

تقدم الثاني، وقال: أنا المسؤول العلمي في الجمعية، ودوري
فيها واضح إنه يشبه دور المباحث والمخبرات..
لقد شكلت لجنة تبحث في جميع التاريخ الإسلامي، لتحصي
كل من فيه رائحة فلسفة، أو عقلانية ونحو ذلك، لتقوم بما يجب
عليها نحوه.
لدي هنا ملفات مفصلة بكل ذلك ابتداء من القرن الثاني
الهجري إلى عصرنا الحديث:

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢ص: ١٨٦٢.

فمن رجالها الأوائل في القرن الثاني الهجري: أبو الفضل صالح بن عبد القدوس الأزدي المتفلسف الزنديق، وجابر بن حيان الذي صنف كتبًا كثيرة في علوم الأوائل كالكيمياء والهيئة والطب والفلسفة.. وقد كفره سلفنا وخلفنا، وحرموا صناعة الكيمياء التي كان يشتغل بها^(١).

ومن رجالها في القرن الثالث: الفيلسوف يعقوب الكندي البغدادي.. وهو من الضالين المنحرفين، وقد كتب المصنفات الكثيرة في الدعوة للفلسفة والعقل، ومنها (الحث على تعلم الفلسفة)، و(كتاب الفلسفة الأولى)، و(كتاب لا تتال الفلسفة إلا بالرياضيات)، وغيرها.

ومن رجالها الضالين في القرن الرابع الهجري الطبيب أبو بكر بن زكريا الرازي الذي كتب كتبًا كثيرة في الطب والهندسة والفلك والمنطق والإلهيات.

ومنهم أبو نصر الفارابي الذي أعاد تلخيص وتهذيب علوم الأوائل، وعلى مؤلفاته تخرّج الفيلسوف ابن سينا ومن جاء بعده من الفلاسفة.

ومنهم أبو حيان التوحيدي الذي كتب في جميع ضلالات الأدب والفلسفة، منها كتاب كبير في تصوّف الحكماء والفلاسفة. ومن رجالها في القرن الخامس الهجري الضال المضل أبو علي بن سينا الذي كتب كتاب الشفاء، الذي جمع فيه كل علوم الفلسفة.

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٦٨/٢٩).

ومن رجالها في القرن السادس الهجري شهاب الدين
السهروردي المقتول، الذي كان جامعاً للفنون الفلسفية، وبارعاً
في أصول الفقه، لكنه كان أحمق منحلاً مغروراً.
ومن رجالها في القرن السابع الهجري عز الدين الإربلي
الضريير الشيعي الذي كان رأساً في علوم الأوائل، وأقرأ الفلسفة
في بيته للمسلمين وأهل الذمة.
ومنهم نصير الدين الطوسي الذي كان وزيراً لهولاكو، وفي
زمانه أقام دولة للفلاسفة، فبنى لهم مدرسة بمدينة مراغة، وأغدق
عليهم الأموال والامتيازات.

المسؤول الأمني:

بعد أن ذكر المسؤول العلمي الكثير من أسماء الفلاسفة
وغيرهم في العصور المختلفة، تقدم الثالث، وقال: أنا المسؤول
الأمني في الجمعية، ودوري فيها واضح.. إنه أهم دور في
الجمعية.. إنني عبد سميع مطيع للمسؤول الشرعي، ولجنة الفتوى
التابعة له.

وقد رأيت - من خلال تتبع آثار سلفنا الصالح في الموقف
من هؤلاء العقلانيين المجرمين - أن لي وللجماعة التابعين لي
أربعة أدوار، سأشرحها لكم إجمالاً، أما التفاصيل، فلا يمكن
ذكرها هنا.

أما الأول، فهو حرق كتب الفلسفة وما يتصل بها من العلوم
العقلية ومنع بيعها..

لقد كان سلفنا الصالح يستعينون - أحياناً - ببذل ماء وجوههم لدى الملوك والأمراء لتحقيق ذلك.. لكن ذلك ليس شرطاً في عصرنا.. فيمكننا أن نحقق ذلك بسهولة بدون الحاجة لأحد من الناس.. لدي خطط ناجعة لتحقيق ذلك.

من الأمثلة التاريخية على ذلك أن السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوي - وبتوجيه من سلفنا الصالح - لما ملك مدينة الري، أحرق كتب الفلسفة والفلك.. وبما أن المعتزلة كانوا عقلايين، فقد أحرق كتبهم أيضاً^(١).

ومن الأمثلة على ذلك أن المستجد بالله أمر بالقبض على الطبيب المتفلسف أبي الوفاء بن المرخم، ثم أحرق من كتبه ما كان في علوم الفلسفة، كرسائل إخوان الصفا، وكتاب الشفاء وغيرها^(٢).

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما أتهم المتفلسف الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلاني باستعمال عقله في الدين جمع الوزير ابن يونس البغدادي الحنبلي كتبه، وعقد له محاكمة حضرها أعيان الناس، وفيها كان الطبيب أبو بكر بن المارستانية يقرأ بعض كتب عبد السلام على الحاضرين، ويقول: (العنوا من كتبها ومن يعتقدها)، فيصيح العوام باللعن حتى تعدى إلى جده الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك أن السلطان المرابطي العظيم أبا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨ ص: ١٧٠.

(٢) المرجع السابق، ج ٩ ص: ٤٣٩.

(٣) جمال الدين القفطي: تاريخ الحكماء من أخبار العلماء، ص: ٢٨٨.

الحسن علي بن يوسف بن تاشفين كان شديد الكره للفلسفة وعلم الكلام، فأمر بحرق كتبهما، ومعها كتب أبي حامد الغزالي، لما فيها من كلام وفلسفة، وتوعدّ بالقتل لمن يُخفي تلك الكتب^(١).

ومثله السلطان الموحي أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذي غضب على الفيلسوف ابن رشد، وأمر بحرق كتب الفلسفة، ونهى عن الاشتغال بها، وتوعدّ من وجدها عنده بالعقاب الشديد، واستثنى منها كتب الطب والحساب وما ينفع من علم النجوم في الصلاة^(٢).

وأما الثاني، فالحجر على كتب الفلسفة ومنع تدريسها، ومن السهل علينا تطبيق ذلك في عصرنا بالقيام بالتظاهرات والمسيرات وحوادث الشغب.. ويمكننا الاستعانة في هذا بالتزلف لأصحاب القرار، ولو برشوتهم.. الحمد لله لدينا ممولون من أنحاء العالم لا يبخلون علينا.

ومن الأمثلة على ذلك أن الحافظ أبا عمرو بن الصلاح أفتى بأن من الواجب على السلطان أن يُخرج أهل الفلسفة المشائيم من المدارس ويُعدهم عنها، ويدفع شرهم عن المسلمين^(٣).

وقد استجاب الحكام الصالحون - بحمد الله - لهذه الفتوى المقدسة.. فقد طرد الملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي المتكلم المتفلسف العقلائي سيف الدين الأمدى من المدرسة

(١) سير أعلام النبلاء: ج ١٩، ٣٣٤.

(٢) الذهبي: المصدر السابق، ج ٢١ ص: ٢١٧. و ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ج ١ ص:

٥٢٣. و عبد الواحد المراكشي: المعجب، ج ١ ص: ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) الذهبي: السير، ج ٢٣ ص: ١٤٣.

العزيزية بدمشق، فأقام الأمدي في بيته خاملاً إلى أن مات^(١).
ومما يبين إدراك سلفنا لخطر العلوم العقلية أن ابن الصلاح
ذكر للملك الأشرف أن أخذ المدرسة العزيزية من هذا العقلاني،
أفضل من استرجاع مدينة عكا التي كانت آنذاك بيد الصليبيين^(٢).
وقد علق بعض الأثريين على هذا تعليقاَ حسناً، فقال: (مدينة
عكا أمرها واضح، يحتلها الكفار الصليبيون، وسيسترجعها
المسلمون منهم يوم يقدرون عليهم. لكن ما يقوم به السيف الأمدي
من تدريس للفلسفة في المدارس السننية هو- في نظر ابن الصلاح
- عمل داخلي خطير جداً، يؤدي إلى إفساد الدين وتخريب الفكر
الإسلامي السنني، والتمكين للفلسفة بأباطيلها وضلالاتها في
المجتمع الإسلامي)^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك أنه لما استولى الملك الأشرف موسى
ابن العادل على مدينة دمشق نادى مناديه بأنه لا يشتغل أحد من
الفقهاء بشيء من العلوم سوى التفسير والحديث والفقهاء، ومن
اشتغل بالمنطق وعلوم الأوائل نفي من البلد^(٤).

وأما الثالث، فإهدار دم رجال الفلسفة ومن يستخدمون العقل

(١) الذهبي: نفس المصدر، ج ٢٢ ص: ٣٦٦.

(٢) وقد ذكر ابن تيمية ذلك، واستحسنه، فقال: من الحكايات المشهورة التي بلغتنا: أن الشيخ
أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الأمدي وقال: أخذها منه
أفضل من أخذ عكا. مع أن الأمدي لم يكن أحد في وقته أكثر تبحراً في العلوم الكلامية
والفلسفية منه وكان من أحسنهم إسلاماً وأمثلهم اعتقاداً. مجموع الفتاوى (٧/٩).

(٣) مقاومة أهل السنة للفلسفة اليونانية خلال العصر الإسلامي، ص ٨٤.

(٤) الذهبي: السير، ج ٢٢ ص: ٣٦٦. وابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٣ ص: ١٤٨.

في الدين، وتنفيذ ذلك، إما بأمر السلطان، أو بأمر المفتي حين يقصر السلطان.

ومن أحسن الأمثلة على ذلك وأجودها ما فعله الحاكم الصالح العادل خالد بن عبد الله القسري الذي كان والياً على العراق لهشام بن عبد الملك، والذي سنَّ سنة حسنة بذبح هؤلاء العقلايين، فقد ذبح الجعد بن درهم بعد أن خرج به إلى مصلى العيد بوثاقه ثم خطب الناس وقال: (أيها الناس! ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلًا، ولم يكلم موسى تكليمًا)^(١)، ثم نزل وذبحه.

وقد أتت على سلوكه هذا كل سلفنا الصالح ومن تبعهم بإحسان، فقد قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين معقبًا على ثناء ابن تيمية على خالد القسري: (جزاه الله خيرًا، فالناس يضحون بالغنم والشاة والمعز والبعير والبقرة.. وهذا ضحي بشر منها، فإنه شر من الإبل والغنم والحمير والخنازير، لأن الله يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، ويقول: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وإني أسأل الآن: البعير عن سبع، والبقرة عن سبع، وهذا الرجل عن كم.. عن آلاف آلاف وفي الله شرًّا كبيرًا، لكن بعض الناس - والعياذ بالله - يقولون: إن هذا العمل من خالد بن عبد الله القسري ليس دينًا، ولكنه سياسي، ونقول لهم هذا كذب؛ لأن الرجل صرح أمام الناس أنه قتله من

(١) البخاري في (خلق أفعال العباد) ص ٦٩.

أجل هذه البدعة).

وقد مدح ابن القيم هذا السلوك العظيم من خالد القسري في
(النونية) التي عرض فيها عقيدة السلف، فقال:

ولأجل ذا ضحي بجعد خالد القـ

سري يوم ذبائح القرـ

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا

ولا موسى الكليـم الداني

شكرا الضحية كل صاحب سنة

لله درك من أخي قربان

ومن الأمثلة على ذلك - أيضا - ما حصل للمتفلسف

الصوفي عبد الله عين القضاة الهمداني الذي قتله وزير من
الصالحين بعد أن رأى في بعض كتبه ألفاظاً شنيعة ينبو عنها
السمع، ويحتاج إلى مراجعة قائلها فيما أراد بها؛ وقد عمل الوزير
محضراً وأخذ فيه خطوط جماعة من العلماء، بإباحة دمه بسبب
تلك الألفاظ، فقبض عليه وحمله مقيداً إلى بغداد، ثم أرسله إلى
همدان وصلبه بها^(١).

ومن الأمثلة على ذلك ما حصل للفيلسوف الإشرافي شهاب
الدين السهروردي الذي أفتى علماء حلب بقتله، وما أسرع ما
استجاب الملك الظاهر بن صلاح الدين الأيوبي لذلك، ثم جاءه
أمر من والده صلاح الدين يأمره بقتله^(٢).

(١) ابن حجر: لسان الميزان، ج ٤، ص: ٤١١.

(٢) الذهبي: السير، ج ٢١، ص: ١٠، ٢١١..

ومن الأمثلة على ذلك، وهو عجيب يبين مدى حق سلفنا الصالح على الفلاسفة والعقلانيين، ما فعله سلطان يُعرف بمحمد ابن المظفر بجثة الفيلسوف أبي علي بن سينا، فقد نيش قبره، وأخرج رفاته وأحرقها بعد أكثر من ١٤٠ سنة من وفاته^(١).
وأما الرابع، وهو مهم جداً، فهو توظيف الرأي العام لمقاومة الفلاسفة ومن يستخدمون العقل في الدين، وتنفيذ ذلك سهل لا يحتاج إلى سلطان أو مفت، بل قد يكفي فيه خطباء الجمعة والمدرسون واستخدام شبكات التواصل الاجتماعي، وكل وسائل الإعلام الجديد.

وقد طبق سلفنا الصالح هذا خير تطبيق حيث كانوا يتولون شحن الرأي العام بالحدق على المبتدعة والمنحرفين عن السنة، ليتولى العامة بعد ذلك أمرهم إما بقتلهم أو تهديدهم أو تخويفهم.
ومن الأمثلة على ذلك ما روي أن بعض أهل الحديث كان يُشنع على الفيلسوف يعقوب الكندي اشتغاله بعلوم الفلاسفة، ويُعري به العوام^(٢).

ومن الأمثلة أنه عندما حوكم المتفلسف الركن عبد السلام بن عبد الوهاب وأحرقت كتبه، جُمعت العامة لحضور محاكمته، فكانت تصيح بلعنه حتى تعدى اللعن إلى جده الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٣).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره المقرئ الأندلسي عن عوام

(١) محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ج ١ ص: ٩٠.

(٢) ابن النديم: الفهرست، ج ١ ص: ٣٨٦.

(٣) ابن رجب: الذيل، ج ٢ ص: ٧٢.

الأندلس وحرصهم على السنة، وحرصهم للفلاسفة والعقلانيين، وقد وصف ذلك، فقال: (وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم [علم الفلك]، فإن لهما حظاً عظيماً عند خواصهم ولا يتظاهر بهما خوف العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة، أو يشتغل بالتنجيم أطلقت عليه العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة، أنفاسه، فإن زل في شبهة رجموه بالحجارة، أو حرقوه قبل أن يصل أمره للسلطان، أو يقتله السلطان تقرباً لقلوب العامة، وكثيراً ما يأمر ملوكهم بإحراق كتب هذا الشأن إذا وجدت)^(١).
ومن الأمثلة على ما ذكره المقرئ أن الفيلسوف علي بن جودي الأندلسي - تلميذ ابن باجة - اشتهر بين الناس باشتغاله بالفلسفة، فاتهموه في دينه وطارده للقبض عليه، ففرّ منهم والتحق بجماعة من قطاع الطرق^(٢).

المسؤول السياسي:

تقدم الرابع، وقال: أنا المسؤول السياسي في الجمعية، ودوري فيها واضح.. إنني أعرف الأحزاب السياسية، وأتقرب إليها لأرى مواقفها، فمن وقف معنا، فنحن معه، وسينجح في الانتخابات لا محالة، ومن رفضنا أو رفض مواقفنا، فسأحيل أوراقه إلى المسؤول الشرعي، وهو من يتولى أمره برفقة لجنة الفتوى التي تتبعه..

(١) نفع الطيب (١/ ٢٢١).

(٢) ابن سعيد المغربي: المغرب، ج ٢ ص: ١٠٩-١١٠.

وقد مارس أعلام من السلف هذا حين تقربوا من السلطان
لينشروا مذهب أهل السلف، والأمثلة على ذلك أكثر من أن
تحصى ابتداء من العصر الأموي، وانتهاء بعصرنا.

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى
لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع
تداولهما:

قال الأول: هل رأيت.. ألم أكن أقول لك دائما: إن كنت تريد
أن تتدين، فعليك أن تلغي عقلك.. فلا يمكن أن يجتمع العقل مع
الدين؟

قال الثاني: لست أدري ما أقول لك.. لكني لم أشعر في
حياتي بآلم كما شعرت وأنا أستمع وأشاهد تلك الحرب المقامة
على العقل.. لست أدري أهؤلاء لا يقرؤون القرآن.. أم أنني أنا
الذي أفهم القرآن على غير ما يفهمونه.. لست أدري يا صديقي..
أنا الآن في حيرة عظيمة.. ولا أحسبني أستطيع أن أسنقل هذه
الحافلة من جديد.

قال الأول: أتريد أن تبقى في الصحراء.. ما بك يا رجل؟
قال الثاني: لقد كانت كل أمانى معقودة على ما ورد في
القرآن من قيم وجمال.. لكني الآن أشعر أن كل شيء بدأ ينهار..
فكل شيء صار مظلمًا بالنسبة لي.. ولا فرق عندي أن أبقى في
هذه الصحراء القاحلة، أو أنتقل إلى أي محل آخر.

تركتهما، وانتقلت إلى مجموعة أخرى لأسمع الضحكات
والسخرية بالإسلام ونبيه.. وكأنهم كانوا يتفرجون على فلم

كوميدي.. أما أنا فقد كنت كالأبله لا هم لي إلا البحث عن ربيع،
والاستماع لموقفه.. فلم يكن لي حينها عقل أفكر به إلا عقل
ربيع.

مفهوم المخالفة

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرة السابقة.. أخرج السائق شريطاً جديداً، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطاً آخر.. يوضح لكم سنة من سنن الإسلام، وهدياً من هدي السلف الصالح.. إنه هدي المخالفة والتميز والاستقلالية.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لخيمة جلس فيها مجموعة شباب أمام شيخ، وكأنه يحدثهم عن ذكرياته.. وكانت القهوة تجول بينهم.

قال الشيخ، وهو يرتشف فنجان القهوة، وكأنه يواصل حديثه: بعد أن عوفيت من إدماني، أخبروني أنني لو لم أتين فإنني قد أعود إلى الإدمان من جديد، ولهذا كان أول عمل لي بعد الخروج من المستشفى مع أصدقاء لي تعرفت عليهم هناك، أن سألنا عن أكثر الناس تديناً في قريبتنا، فدلونا على رجل كان صيته ذائعاً، وسمعته تخترق الآفاق، فذهبنا إليه، وأخبرناه بحالتنا، وأنا نحب أن نتدين ونرتبط بربنا.

فقلب النظر في هيئتنا، وقال: أبهذه الهيئة تريدون أن تتدينوا؟

قلنا له: وما علاقة الهيئة بالتدين؟

قال: هل رأيتم في حياتكم رجلاً يلعب كرة القدم.. وفي الملعب.. وفي مباراة رسمية ببذلة ورابطة عنق؟

قلنا: لا..

قال: أفترون التدين أهون من اللعب.. فإن كان للعب لباس

رسمي.. فكيف بالتدين؟

قلنا: صدقت.. اعذرنا لجهلنا.. ولكن ما سمة الهيئة، وما ضرورتها.. فقد علمنا أن لكل مهنة اللباس الذي يتناسب معها؟
قال: المخالفة..

تعجبنا لقوله هذا، فقال: لا تتعجبوا.. فمخالفة الآخر من اليهود والنصاري والمجوس والشيوعيين والرأسماليين والوجوديين.. والصوفية والرافضة.. وكل من عدا المسلمين أصل من أصول التميز.. فبقدر مخالفتهم يكون التدين كاملاً.
قلنا: ولكن لم ذلك؟

قال: لذلك أسباب كثيرة ذكرها سلفنا الصالح، وقد جمع منها شيخنا التويجري^(١) نتفا منها (أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس فإن اللباس لثياب أهل العلم مثلاً يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللباس لثياب الجند والمقاتلة مثلاً يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضياً لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع)

(١) انظر في هذه المخالفات والتشدد فيها من باب المثال لا من باب الحصر كتاب (الإيضاح والتبيين لما وقع فيه الأكثرون من مشابهة المشركين)، لحمود بن عبد الله بن حمود التويجري، وقد قال ابن باز مقدماً له: (أني لا أعلم أنه ألف في منواله مثله مع وضوح العبارة والعناية بالأدلة والعلل المهمة والحكم الشرعية والأضرار الكثيرة الناجمة عن مشابهة المشركين، والافتداء بهم المفضية إلى نسيان الكثير من السنة وطمس الكثير من أعلام الحق، ولا سيما في هذا العصر الذي قد استحكمت فيه غربة الإسلام وفتنت فيه البدع والمنكرات، وقلَّ فيه العلم وغلَب فيه الجهل وكثر فيه أنصار الهوى).

ومنها أن (أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة تتوجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.. وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد).

ومنها (أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والصالين)

قلنا: ولكن ألا ترى أن في ذلك كثيرًا من الحرج؟

قال: وهل تريدون أن تدخلوا الجنة بالمجان.. أنسيتم قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزَلُّوا﴾ [البقرة: ٢١٤].

انظروا كيف طبق سلفنا الصالح هذه السنة العظيمة.. لقد سئل أحمد عن نعل سندي يخرج فيه، فكرهه للرجل والمرأة، وقال: إن كان للكفيف والوضوء فلا بأس، وأكره الصرار، وعلل ذلك بأنه من زي الأعاجم.

وروي أن سعيد بن عامر سئل عن لباس النعال السبئية فقال: (زي نبينا أحب إلينا من زي باكهن ملك الهند، ولو كان في مسجد المدينة لأخرجه من المدينة)

قلنا: ما دام الأمر بهذه الأهمية فلا بأس.. نحن طوع أمرك.
قال: شكرًا لكم.. سأرسلكم لصديق لي.. وسيجعلكم وكأنكم

قضيتم حياتكم كلها في التدين.. سيجعلكم وكأنكم السنة تمشي.
خرجنا من عنده إلى صديقه الذي ذكره لنا، وقد كان ممثلًا
هيبه ووقارًا.. عندما دخلنا عليه قلب النظر فينا، ثم نظر إلى
شاربي الذي كنت أطيله في ذلك الحين كأهل قريتنا جميعًا، وقال:
ألا تعلم أن من التشبه بأعداء الله تعالى إعفاء الشوارب، حف
شواربك، فلا يصح أن تتدين وهي في وجهك، فإن ذلك من سنن
الأكاسرة وقومهم المجوس، ومن أعمال قوم لوط.. وقد أمرنا
بمخالفتهم، وفي الحديث قال صلى الله عليه وآله: (من تشبه بقوم فهو منهم)^(١).
ثم نظر إلى ذقني، وقال: إياك أن تمس ذقنك مرة أخرى.. لا
تحليقًا.. ولا تقصيرًا.. فالتقصير الذي يقع فيه بعض المبتدعة لا
يقبل حرمة عند الحلق، وقد كتب في ذلك شيخنا الجليل العلامة
حمود بن عبد الله التويجري كتابه العظيم الذي لم يؤلف مثله في
الآفاق (الرد على من أجاز تهذيب اللحية)، وقد رد في كتابه هذا
على بعض المبتدعة من العصرانيين، والذي زعم أن اللحية لا
تعني في الإسلام شيئًا مميزًا للمسلم.

نظر إلى صاحب لنا كان يرتدي برنيطة، فقال: لا بد أن تخلع
هذه.. فإن (من التشبه بأعداء الله تعالى لبس البرنيطة التي هي
من لباس الإفرنج ومن شابههم من أمم الكفر والضلال، وتسمى
أيضًا القبعة، وقد افتتن بلبسها كثير من المنتسبين إلى الإسلام في
كثير من الأقطار الإسلامية ولا سيما البلدان التي فشت فيها

(١) رواه أحمد وأبو داود.

الحرية الإفرنجية، وانطلمست فيها أنوار الشريعة المحمدية^(١).
نظر إلى صاحب لنا آخر يرتدي سترة وسروالاً، وقال: وأنت
أيضاً.. لا بد أن تخلع هذين، فـ (الافتصار على لبس السترة
والبنطلون.. فهو من ملابس الإفرنج، والبنطلون اسم للسراويل
الإفرنجية، وقد عظمت البلوى بهذه المشابهة الذميمة في أكثر
الأقطار الإسلامية.. ومن جمع بين هذا اللباس وبين لبس
البرنيطة فوق رأسه فلا فرق بينه وبين رجال الإفرنج في الشكل
الظاهر، وإذا ضم على ذلك حلق اللحية كان أتم للمشابهة
الظاهرة.. ومن تشبه بقوم فهو منهم)^(٢).

قال صاحبنا: ولكني لم أضع القبعة على رأسي إلا لحاجتي
إليها، فأنا أتأذى من البرد في الشتاء والحر في الصيف.. وألبس
السروال والقميص لأن عملي لا يسمح لي بلباس آخر.
انتقض الرجل غاضباً، وقال: (هذه الدعوى حيلة على
استحلال التشبه المحرم، والحيل لا تبيح المحرمات، ومن استحل
المحرمات بالحيل فقد تشبه باليهود)^(٣).

وفي الحديث الذي رواه ابن بطة قال عنه (لا ترتكبوا ما
ارتكبت اليهود، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل)

وقد قال شيخنا التويجري مجيباً على هذه الشبهة: (وقد جعل
الله سبحانه وتعالى للمسلمين مندوحة عن مزاحمة أعداء الله تعالى
في لباسهم والتشبه بهم، فمن أراد وقاية لرأسه ففي لباس

(١) كتاب (الإيضاح والتبيين) الذي سبق ذكره.

(٢) الكتاب السابق.

(٣) الكتاب السابق.

المسلمين ما يكفيه، ومن أراد ثيابًا للأعمال فكذلك، ومن أراد ثيابًا للزينة والجمال فكذلك، ومن رغب عن زي المسلمين ولم يتسع له ما اتسع لهم من الملابس المباحة فلا وسع الله عليه في الدنيا ولا في الآخرة^(١).

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر: (ولم يختلف أهل العلم منذ الصدر الأول في هذا أعني: في تحريم التشبه بالكفار حتى جئنا في هذه العصور المتأخرة فنبتت في المسلمين نابتة ذليلة مستعبدة، هجيرها وديدها التشبه بالكفار في كل شيء والاستخذاء لهم والاستعباد، ثم وجدوا من الملتصقين بالعلم المنتسبين له من يزين لهم أمرهم ويهون عليهم أمر التشبه بالكفار في اللباس والهيئة والمظهر والخلق وكل شيء حتى صرنا في أمة ليس لها من مظهر الإسلام إلا مظهر الصلاة والصيام والحج على ما أدخلوا فيها من بدع بل من ألوان من التشبه بالكفار أيضًا، وأظهر مظهر يريدون أن يضربوه على المسلمين هو غطاء الرأس الذي يسمونه القبعة (البرنيطة)، وتعللوا لها بالأعالي والأباطيل، وأفتاهم بعض الكبراء المنتسبين إلى العلم أن لا بأس بها إذا أريد بها الوقاية من الشمس، وهم يأبون إلا أن يظهروا أنهم لا يريدون بها إلا الوقاية من الإسلام)^(٢).

رأى على صاحبي شعرات بيض، فقال: لا بد أن تصبغ شعرك حتى تبدو أكثر شبابًا.

(١) الكتاب السابق.

(٢) نقلًا عن الكتاب السابق.

قال صاحبي: ألهذا علاقة بالتدين؟

قال الرجل: أجل.. هل ترون شعر رأسي.. وهل هو يتناسب مع سني.. أنا ابن سبعين سنة، ومع ذلك أبوء، وكأني ابن عشرين.. ذلك لأنني اتبعت سنة رسول الله ﷺ في عدم التشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى، لقد ورد في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم)^(١)، وقد علق على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: (قد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة، ولهذا كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة يعلنون الأمر بالصبغ بعلّة المخالفة، قال ابن حنبل: سمعت أبا عبد الله يقول: ما أحب لأحد إلا أن يغير الشيب ولا ينتشبه بأهل الكتاب)^(٢).

نظر إلى خاتم لي كنت وضعته بمناسبة خطوبتي، وكان في يدي اليمنى، فقال: انزعه، وضعه في يدك الأخرى.

قلت: أهكذا فعل رسول الله ﷺ؟

قال: لا.. ولكن نحن نتأسى في هذا بما فعل سلفنا الصالح، فقد قال ابن عبد البر: (وقد كان التختّم في اليمين مباحاً حسناً، لأنه قد تختّم به جماعة من السلف في اليمين، كما تختّم منهم جماعة في الشمال وقد روي عن النبي ﷺ الوجهان جميعاً، فلما غلبت الروافض على التختّم في اليمين ولم يخطوا به غيره

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٩٩)

كرهه العلماء مناظرة لهم، وكرهية للتشبه بهم، لا أنه حرام ولا أنه مكروه وبالله التوفيق^(١).

قلت: ما دام في الأمر سعة، فدعه في يميني.. فإنني لا أحب أن أضعه في يساري.. وأنت تعلم أنني قد أستعملها عند قضاء حاجتي.

غضب الرجل غضباً شديداً، وقال: ويلك.. أتتكر على السلف.. أم تريد أن تتشبه بالرافضة الخبيثة.. افعل ما أمرتك به وإلا فاخرج عني.. فلا يصل مجادل أبداً إلى السنة.. أنسيت قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قلت: ولكنك ذكرت أن رسول الله ﷺ تختم بيمينه، ولهذا فأنا لم أقم بأي مخالفة لرسول الله ﷺ.

قال: اسمعني جيداً.. لقد سن سلفنا أصلاً في هذا لا بد أن تراعيه إن كنت تريد أن تكون من الفرقة الناجية.. وهو ينص على أنه إذا صار الأمر المباح شعاراً لأهل البدع شرع للمسلم مخالفتهم فيه، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية يؤصل لهذا: (وهذا القول يقوله سائر الأئمة، فإنه إذا كان في فعل مستحب مفسدة راجحة لم يصبر مستحباً، ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم فلا يتميز السني من الرافضي، ومصالحة التميز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم

(١) التمهيد (٨٠/٦).

من مصلحة هذا المستحب^(١).

وقد ضرب هو وغيره الأمثلة الكثيرة على ذلك.. ومنها عدم لبس السواد كالعمامة السوداء مع أنه صح عن النبي ﷺ لبسها، لكن لكونها صارت شعارًا للرافضة يشرع مخالفتهم في لبسها.. ومثل ذلك لبس العمامة الخضراء التي أصبحت شعارًا للصوفية، فشرع مخالفتهم في ذلك.

بل إن هذه المخالفة حتى في الأمور التعبدية، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإنما كثر الكذب في أحاديث الجهر لأن الشيعة ترى الجهر، وهم أكذب الطوائف، فوضعوا في ذلك أحاديث لبسوا بها على الناس دينهم، ولهذا يوجد في كلام أئمة السنة من الكوفيين كسفيان الثوري أنهم يذكرون من السنة المسح على الخفين وترك الجهر بالبسملة كما يذكرون تقديم أبي بكر وعمر ونحو ذلك؛ لأن هذا كان من شعار الرافضة، ولهذا ذهب أبو علي بن أبي هريرة أحد الأئمة من أصحاب الشافعي إلى ترك الجهر بها قال: لأن الجهر بها صار من شعار المخالفين كما ذهب من ذهب من أصحاب الشافعي إلى تسنمة القبور؛ لأن التسطيع صار من شعار أهل البدع^(٢)).

ومن ذلك تخصيص آل البيت بالصلاة والسلام، فمع أنه مشروع، وفي الصلاة نفسها، وقد علمنا ذلك رسول الله ﷺ لكنه لما صار شعارًا للرافضة شرع مخالفتهم، وقد قال ابن حجر

(١) منهاج السنة (١٥٥/٤).

(٢) الفتاوى الكبرى (١٦٦/٢).

في فتح الباري: (اختلف في السلام على غير الأنبياء، بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي، فقيل: يشرع مطلقاً، وقيل: بل تبعاً، ولا يفرد لواحد، لكونه صار شعاراً للرافضة)^(١).

ونقل عن عبد الله المغربي المالكي في كتابه (المعلم بفوائد مسلم) قوله: (إن زيّداً كبير خمساً على جنازة، قال: وكان رسول الله يكبرها. وهذا المذهب الآن متروك، لأنه صار علماً على القول بالرفض).

ونقل عن الشافعي وأحمد والحكم قولهم: (المسح على الخفين أولى من الغسل، لما فيه من مخالفة الشيعة)^(٢).

قال الرجل بعد أن أنهى حديثه: وهكذا عملت بكل ما طلب مني، وما هو إلا شهر واحد حتى تغيرت تماماً.. لقد كان الكل يسلم علي، ويكيل لي كل أنواع الاحترام.. بل قد كان بعضهم يأتي ويستفتيني.. وهذا كله ببركة مفهوم المخالفة الذي علمني إياه الشيخ..

حينها كنت بطالاً لأنه لا أحد يقبل أن يوظف مدمناً أو سيق له الإدمان، ولهذا اقترح علي بعض المشايخ أن أحبي سنة الرقية في قريتي مستفيداً من حال الإدمان التي كنت أعاني منها.. وقد طبقت اقتراحه.. وها أنا أرفل في نعيم الدنيا بسبب إحيائي لتلك السنة العظيمة.. وأسأل الله أن يديم لي نعمته في الآخرة كما

(١) فتح الباري - ابن حجر (١١ / ١٧٠)

(٢) الصراط المستقيم ٢ / ٥١٠.

أدامها لي في الدنيا، وأن يحشرني مع السلف الذي كانوا سبباً لكل
البركات التي أنعمها الله علي.

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى
لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع
تحاورهما:

قال الأول: لا يمكنني أن أركب في هذه الحافلة المشؤومة
مرة أخرى.. لقد ذكرتني بمآسي حصلت لي في شبابي كنت
نسيتها.. وكل ذلك بسبب هؤلاء اللئام المتاجرين بالدين.

قال الثاني: ما الذي حصل لك؟

قال الأول: تصور.. لقد تركت إكمال دراستي بسبب رفضي
لللباس الرسمي الذي كان مفروضاً علينا.. وقد حاول والدي كل
جهده ليقنعي، لكن عقلي كان مغلقاً تماماً، فقد كنت تابعاً لشيخ من
المشايع يحذرنا من كل شيء، ويصور لنا على أن الكل أعداؤنا.
قال الأول: صدقت.. وقد حصل لي بسبب أمثال هؤلاء مآسي
لا تقل عن مأسيك.. ولا أظنني أستطيع أن أركب هذه الحافلة من
جديد.. فالصحراء أرحم من هؤلاء.

الانفتاح الديني

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرتين السابقتين.. أخرج السائق شريطاً جديداً، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطاً آخر.. يفند شبهة لطالما ردها المغرضون المبتدعون، أولئك الذين يكرهون السنة والسلف.. وهي أننا- أتباع السنة والسلف - منغلَقون على أنفسنا، متفوقون على ذواتنا، لا ننتفح على الآخر.. لا تسمعوا لهذا.. فكلها أباطيل وخزعبلات نشرها أعداؤنا ليشوهوا سمعتنا.. ليس الأمر كما يقول أعداؤنا أعداء الله.. وهذا الشريط يوضح لكم ذلك.. فأصيخوا آذانكم له.. وارموا بأبصاركم إليه.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لحديقة جميلة مزدانة بأصناف الأشجار والزهور.. وقد ظهر فيها بعض المشايخ، ومعهم شباب يبدوون من جنسيات مختلفة.. والعجيب أن أكثرهم لم يكن ملتجياً، ولا تبدو عليهم علاقة بالتشدد والتطرف.

بدأ الحديث شيخ من المشايخ، وقال: سنبدأ الآن بتنفيذ الشبهة التي عرضتموها علي، وهي أننا - معشر أهل السنة والحديث - منغلَقون على أنفسنا، لا نستفيد من الآخر، ولا ننتفح عليه..

قال شاب من الحاضرين: أجل.. ويدل لذلك ما تنشرونه في كتبكم من التحذير من اتباع الآخر أو تقليده.. بل إنكم تعتبرون مجرد تهنئة الآخر بعيده الديني بدعة خطيرة، وقد قال في ذلك مشايخكم ما قالوا.

ابتسم الشيخ ابتسامة عريضة، وقال: صدقت في هذا.. ولكن كل هذا شكليات.. القصد منها ألا نذوب في الآخر، ولا يذوب فينا.. القصد فقط أن نتميز.. أما الحقيقة فنحن منفتحون على الآخر أكثر من أي فرقة من الفرق أو طائفة من الطوائف حتى من الرافضة أنفسهم.. والذين نزع بأنهم أخذوا بعض المبادئ المتعلقة بالوصية والإمامة من عبد الله بن سبأ اليهودي.. نحن استفدنا من الآخر، وانفتحنا عليه أكثر منهم.

سأبرهن لكم على ذلك بطريقة عجيبة.. أجيئوني أولاً: أليس الانفتاح ينطلق من قبول مصادر الآخر والاهتمام بها؟ قالوا: بلى.. ومن فعل ذلك فقد انفتح انفتاحاً كبيراً. قال: لا يكفي ذلك عندنا.. بل هناك انفتاح آخر.. وهو قبول رجال الآخر ومفكره وعلمائه والاستفادة منهم. قالوا: من فعل ذلك فقد كاد يذوب في الآخر.. ولم يفتح عليه فقط.

قال: ما دام الأمر كذلك، فسأنطلق من كلا الأمرين لأبرهن لكم أننا - معشر السلفيين، وأسلافنا من أهل الحديث - أكثر طوائف المسلمين انفتاحاً، وخاصة على أهل الكتاب الأول من اليهود.

المصادر:

قالوا: ما ذكرته منطقي.. فهات حدثنا عن الأول.. فهل قبل سلفكم التوراة والكتاب المقدس؟

قال: لم يقبلوا التوراة والكتاب المقدس فقط، بل إنهم استفادوا منها أيضاً، وبنوا الكثير من الأحكام في القضايا الكبرى عليها.

قالوا: ولكن القرآن الذي تعتبرونه المصدر الأول ينص على تحريف التوراة، ويحذر من الانجرار وراء أهل الكتاب. ابتسم الشيخ ابتساماً عريضة، وقال: نحن في العادة نتبرك بالقرآن.. ونجمع الأجور والحسنات من خلال قراءته.. تصوروا أننا كلما قرأنا حرفاً واحداً نلنا عشر حسنات، وخاصة إن رتلناه ترتيلاً جميلاً.. أما المعاني التي فيه.. فنحن نرجع فيها إلى سلفنا.. فهم أدري بالناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد.. وغيرها كثير.

ولهذا فهم اعتبروا تلك النصوص من باب التشديد في خطاب اليهود.. أما الحقيقة فهي أن علماءنا ينظرون إلى التوراة كما ينظرون إلى القرآن نفسه، وقد قال بعض مشايخنا في ذلك: (وأيضاً فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك فلو كان هذا عيباً لكان عيب الله لهم به أعظم وذمهم عليه أشد^(١)).

قال شاب من الحاضرين: أهذا صحيح؟.. أعقيدتكم في الله، والتي هي أهم قضية في الدين كله تتفقون فيها مع اليهود؟

(١) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، التوجيهي، طبع دار اللواء - الرياض، الطبعة الثانية، ص ٧٧.

ابتسم الشيخ، وقال: لا نتفق معهم فيها فقط.. بل نحن نقبل منهم ما يذكرونه من صفات الله.. لأن الله لم ينكرهم عليها. قال الشاب: ولكن تلك الكتب - بحسب ما أعلم - مشحونة بالحديث عن الله باعتباره جسمًا مركبًا من أعضاء لا تختلف عنا.. إنها تذكر أن الله صورة، وأنها تشبه صورة الإنسان.. لقد ورد في الإصحاح الأول من سفر التكوين (عدد: ٢٦، ٢٧): (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا. فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض.. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه. ذكرًا وأنثى خلقهم).

قال الشيخ: وهذا نفس ما قاله سلفنا من أهل الحديث، لقد رووا في ذلك آثارًا كثيرًا في ذلك، وكثير منها من أهل الكتاب، وقد كتب الشيخ (حمود التويجري) - وهو من خيرة علمائنا- كتابًا سماه (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)، وهو كتاب من الكتب المهمة عند جميع أصحابنا، وقد زكاه شيخنا الجليل ابن باز.. بل إنه قال في أثناء حديثه عنه: (وأيضًا فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإن في السفر الأول منها (سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهها)^(١)).

قال الشاب: يا شيخ انظر ما نقول.. إن اليهود تنسب إلى الله

(١) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، طبع دار اللواء - الرياض، الطبعة الثانية، ص/ ٧٦:..

تعالى الجلوس والقعود والاستقرار والثقل والوزن والحجم.. ففي (سفر الملوك) (٢٢: ١٩-٢٠): (وقال فاسمع إذا كلام الرب قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره).

وفي سفر مزامير (٨/٤٧) يقول اليهود: (الله جلس على كرسي قدسه).

قال الشيخ: ونحن كذلك.. لقد استفدنا بانفتاحنا عليهم كل هذه الصفات.. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فما جاءت به الآثار عن النبي من لفظ القعود والجلوس في حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب وحديث عمر أولى أن لا يماثل صفات أجسام العباد)، وقال: (إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسي سُمع له أطيط كأطيط الرَّحْلِ الجَديد)^(١).

قال الشاب: ولكن الكتاب المقدس ينسب - أحياناً - بعض الأوصاف القبيحة والشنيعة إلى الله كالمكر والخداع والملل.

قال الشيخ: وما في ذلك.. نحن منفتحون عليهم في هذا أيضاً.. لقد قال أحد أئمتنا المعاصرين: (لا يوصف الله بالمكر إلا مقيداً، فإن قيل كيف يوصف الله بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم قيل إن المكر في محله محمود)^(٢)، وقال: (إن الله له مَلَلٌ وأما مَلَلُ الله فإنه ملل يليق به عز وجل)^(٣)، وقال: (وأما الخداع فهو

(١) (مجموع الفتاوى) (٣٧٤/٤)

(٢) (فتاوى العقيدة) للعثيمين (ص ٥٠).

(٣) المرجع السابق، ص ٥١.

كالمكر يوصف الله به حين يكون مدحاً^(١)..
فغر المحيطون به بأفواههم، وقالوا: أهذا صحيح؟.. إنكم لا
تختلفون أبداً عن اليهود.

قال الشيخ: أجل.. فالتوراة والقرآن.. كلاهما من الله..
سأزيدكم شيئاً يزيل عنكم شبهة انغلاقنا على أنفسنا.. لا شك أنكم
تعلمون أننا نعظم السنة.. بل نقدمها أحياناً كثيرة على القرآن
نفسه.. لا من جهة المرتبة، بل من جهة الاستدلال.. فالحديث
الواحد قد ينسخ عشرات الآيات.

قالوا: أجل.. سمعنا منك وممن معك هذا.
قال: فأضيفوا إلى معلوماتكم بأن الكثير من هذه الأحاديث
التي نرويها عن نبينا ﷺ قد يكون مصدرها يهودياً.. بل أكثر
مشايخنا يتيقنون أن ذلك هو مصدرها، ومع ذلك يرفعونها إلى
رسول الله ﷺ.. باعتبار انفتاحنا الشديد على الآخر.. فنحن
تهمنا المعلومة، ولا يهمنا مصدرها.

تعجبت الجماعة، فزاد ذلك في حماسته، وقال: لعلكم تعلمون
أن السنة النبوية اختلطت بالأحاديث اليهودية، فهناك الكثير من
الأحاديث منتشرة بين المسلمين على أنها أحاديث رسول الله
ﷺ مع أنها أحاديث كعب الأخبار أو غيره من اليهود.
قالوا: أهذا صحيح؟

ابتسم ابتسامة عريضة، وقال: أجل.. وسأضرب لكم أمثلة
على ذلك تدلكم على مدى انفتاحنا على الآخر.. وخصوصاً

(١) المرجع السابق، ص ٥٢.

اليهود.

خذوا المثال الأول: لقد روى مسلم عن أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: (خلق الله، عز وجل، التربة يوم السبت. وخلق فيها الجبال يوم الأحد. وخلق الشجر يوم الاثنين. وخلق المكروه يوم الثلاثاء. وخلق النور يوم الأربعاء. وبث فيها الدواب يوم الخميس. وخلق آدم، عليه السلام، بعد العصر من يوم الجمعة. في آخر الخلق. في آخر ساعة من ساعات الجمعة. فيما بين العصر إلى الليل)^(١).. إن هذا الحديث الذي يعظمه العلماء والعوام ويتعبدون الله به باعتباره حديثاً لرسول الله ﷺ ليس سوى حديث لكعب الأحبار، فقد ذكر ابن قيم الجوزية في (المنار المنيف في الصحيح والضعيف) هذا، فقال: (ويشبه هذا ما وقع فيه الغلط من حديث أبي هريرة خلق الله التربة يوم السبت الحديث، وهو في صحيح مسلم، ولكن وقع الغلط في رفعه، وإنما هو من قول كعب الأحبار، كذلك قال إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخاري في تاريخه الكبير. وقاله غيره من علماء المسلمين أيضاً وهو كما قالوا؛ لأن الله أخبر أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وهذا الحديث يقتضي أن مدة التخليق سبعة أيام)^(٢).

قالوا: أهذا هو المثال الوحيد؟

قال: ما بكم.. لم تستعجلون.. الأمثلة أكثر من أن تحصى..

(١) رواه مسلم.

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (ص: ٨٤)

ومنها ما روي عن ابن عمر يرفعه إلى رسول الله ﷺ: (إن الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب، قال: إني ابتليتهم وعافيتكم، قالوا: لو كنا مكانهم ما عصيناك. قال فاختاروا ملكين منكم. قال: فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت)^(١)، وقد علق ابن كثير على هذا الحديث بقوله: (أقرب ما يكون في هذا أنه من رواية عبد الله ابن عمر عن كعب الأحمار لا عن النبي ﷺ)^(٢).

ومثله ما حدث به سمرة عن النبي ﷺ قال: (لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره)^(٣)، وقد قال ابن كثير معلقاً عليه: (فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم مثل كعب أو وهب بن منبه وغيرهما)^(٤).

تعجب الجمع، فازداد سروره، وقال: هذه مجرد أمثلة.. وهي أكثر من أن تحصى.. هذا ما فطنوا له، وصرحوا به أما ما لم يفطنوا أو لم يصرحوا، فلا يعلمه إلا الله.

قال شاب من الحاضرين: انتظر يا شيخ.. لقد قرأت في بعض مصادركم أن عمر أتى نبيكم بكتاب أصابه من بعض أهل

(١) تفسير الطبري (٤٣٣/٢)

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٤)

(٣) رواه الحاكم في مستدرکه من حديث عبد الصمد مرفوعاً ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٢٧)

الكتاب، فغضب، وقال: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده، لقد جئتم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني)^(١).

قال الشيخ: اسمع يا بني.. ليس من السهل عليك أن تستدل بالحديث.. ففيه هو الآخر الناسخ والمنسوخ.. والمطلق والمقيد.. وهناك أحاديث قالها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوصفه بشرًا كسائر الناس.. ولذلك ليس من الضرورة أن نأخذ بها.

قال الشاب: ولكن نبيكم غضب غضبًا شديدًا، وهذا يدل على خطورة الأمر.

قال الشيخ: ألم أقل لك: إنك تفتقر إلى علم الأصول لتفهم أمثال هذه الحقائق.. نبينا يغضب كسائر البشر، ولذلك قد يخطئ عندما يغضب.. لقد روى أهل الحديث في هذا عنه صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (اللهم إني اتخذت عندك عهدًا لن تخلفنيه، وإنما أنا بشر، فأأي المؤمنين آديته أو شتمته أو لعنته فاجعلها زكاة وصلاة وقربة إليك يوم القيامة)^(٢).

قال الشاب: فأنت ترفض هذا الحديث إذن؟

انتقض الشيخ غاضبًا، وقال: معاذ الله.. أتحسبني زنديقًا حتى أرد حديثًا ورد في الصحيحين.

قال الشاب: ولكنك لا ترى العمل به.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٣/٣٨٧ ح (١٥١٩٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

قال الشيخ: أراه عليه السلام ذكره من باب التشدد، لا من باب التشريع.. أو من باب النصيحة لعمر، لا من باب تعميمه للأمة.. أو من باب كونه والياً على المدينة أو قاضياً فيها لا من باب كونه نبياً.. أو من أبواب أخرى لن تفهمها حتى تطالع أصول الفقه^(١).

قال الشاب: وما دليلك على ذلك؟

قال الشيخ: الدليل سهل جداً.. وهو قبول السلف لروايات أهل الكتاب ورجوعهم إلى الكتاب المقدس.. ولو أنهم علموا أن ذلك يخالف رسول الله عليه السلام لما فعلوه.. بالإضافة إلى ذلك فقد ورد في حديث صححه ثقاتنا: (لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه.. وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)^(٢)، وقد صار العمل بهذا الحديث، بدل الحديث السابق. قال الشاب: ألا ترى في الحديث الذي ذكرته خطراً على الدين؟.. فنبيكم - على حساب روايتك- ينهاكم فيه عن كتابة حديثه، وفي نفس الوقت يأذن لكم في الرواية عن اليهود.

قال الشيخ: وهذا من دلائل انفتاح ديننا.. ولهذا تجد تراث اليهودية في كتبنا جميعاً.. التفسير والحديث والعقيدة.. وكل شيء.. ألا يكفي هذا على رد شبهة انغلاقنا على أنفسنا التي يرمينا بها عدونا؟

الشخصيات:

(١) للأسف نجد هذا في أصول الفقه، وهو وصف بعض أفعال النبي عليه السلام بكونها ليست بلاغاً نبوياً، مع أن الله تعالى اعتبر كل تصرفاته عليه السلام من الله تعالى إلا ما ورد تخصيصه.
(٢) رواه أحمد.

قالوا: ما ذكرته من الدليل قوي جداً، وهو يدل على أنكم
منفتحون كثيراً..

ابتسم الرجل ابتسامة عريضة، ثم قال: ليس ذلك فقط.. أنتم
تعلمون أننا نحترم السلف كثيراً، بل نعتبرهم مراجع للدين، ونقدم
فهمهم على كل فهم، وعلمهم على كل علم.

قالوا: هذا صحيح.. ولهذا تطلقون على أنفسكم، أو يطلق
عليكم أعداؤكم لقب (السلفية)

قال: فهل تعلمون أن من كبار سلفنا وأئمتهم كثير من اليهود؟
قالوا: أجل.. وما الضرر في ذلك.. فقد أسلموا.. وذهب عنهم
وصف اليهودية.

قال: نعم هم أسلموا.. ولكن وصف اليهودية وعلوم اليهود
وأهل الكتاب كانت في عقولهم، وقد بثوها إلينا جميعاً، وكنا نرجع
إليهم فيها.. ولذلك فإن جزءاً مهماً من ثقافتنا يرجع لهم.

قالوا: ما تقول يا رجل.. إن هو إلا واحد أو اثنان.
ابتسم، وقال: نعم كانوا محدودين.. ولكن لكل واحد منهم
تلاميذ كثيرون، كانوا يلقنونهم ويعلمونهم ويروون عنهم.. وقد
صار كل واحد منهم بعشرة أو عشرات..

قال أحد الحاضرين: مهلاً يا رجل.. لا تحسبنا حمقى أو
مغفلين.. فقد رأيت بعض الباحثين يتهم كعباً، ويعتبره من
الكاذبين.. بل يتهمه بأنه دس الإسرائيليات في السنة النبوية.

قال الرجل: لا يقول ذلك إلا الرافضة أو من تأثر بهم..
ونحن لا نعتبر الرافضة مسلمين أصلاً، فلهم دينهم، ولنا ديننا..
وهم يحقون عليه لسبب بسيط، وهو أن كعباً ومن معه من اليهود

الذين أسلموا آثروا بعد اجتهادهم في المسألة أن يكونوا إلى جنب معاوية.. ولا ذنب عليهم في ذلك حتى لو كانوا مخطئين، فكل مجتهد مأجور.. ولو أنهم كانوا إلى جنب علي لقبولهم.. وهذا من المكابيل المزوجة للرافضة الخبيثة.. بينما نحن نروي عن أتباع علي وأتباع معاوية لا نفرق بين أحد منهم.. فكلهم صحابة.. وكلهم لهم حرمتهم التي لا يجوز انتهاكها.

وقد رد علماؤنا من السلف والخلف على هذا^(١)، بل إنهم اعتبروا من يتهم كعباً كمن يتهم الصحابة أنفسهم.. والشواهد الكثيرة تشهد لكعب الأخبار بصدق إسلامه وقوة إيمانه، ومن أبرز هذه الشواهد شهادة كثير من الصحابة له بذلك.

فإذا تتبعنا حياة كعب في الإسلام، ورجعنا إلى مقالات بعض أعلام الصحابة فيه، وأحصينا من تحمل منهم عنه وروى له، ومن أخرج له من شيوخ الحديث في مصنفاتهم.. لو فعلنا ذلك لوجدنا ما يدحض ويبطل هذه الفرية، ويشهد له بقوة دينه وصدق يقينه، وأنه قد طوى قلبه على الإسلام المحض والدين الخالص، ولغزارة علمه وكثرة معارفه لهج بعض أعلام الصحابة بالثناء عليه، فقال عنه أبو الدرداء: (إن عند ابن الحميرية لعلماً كثيراً)^(٢).

أما خال المؤمنين معاوية، فقد وضعه مع كبار الصحابة، وأنتى عليه من بينهم، فقال: (ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا

(١) نقلنا هذا، وبنصر من موقع معتمد لدى التيارات السلفية، وهو موقع بيان الإسلام.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: د. علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

القاهرة، ٢٠٠٢م، (٤٤٩/٩)

إن كعب الأبحار أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرضين^(١).. انظر كيف اعتبر نفسه مفرضاً في التلقي عنه.. وهذا يدل على انفتاحهم وحرصهم على العلم والحكمة.

وهكذا نجد جماهير المحدثين على توثيق كعب؛ وأنى يكون ذلك وقد جلس الكثير من الصحابة بين يديه، ورووا عنه كما رووا عن رسول الله ﷺ سواء بسواء.. وهذا سر ما اختلط من رواياتهم عنه برواياتهم عن رسول الله ﷺ.. لقد حدث عنه من أعلام الصحابة كأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، ولم يكن هؤلاء ولا غيرهم ممن رووا عنه سنجاً ولا مخدوعين فيه، وإنما أيقنوا أنه صدوق فيما يروي، فرووا عنه؛ لذلك قال عنه ابن حجر في التقریب: (ثقة مخضرم)^(٢)، وقد روى له مسلم في صحيحه، وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم، وهو دليل على أن كعباً كان ثقة غير متهم عند هؤلاء جميعاً^(٣).

قال شاب من الحاضرين: ولكني قرأت في بعض كتبكم أن خالك معاوية رمى كعباً بالكذب، وقال عنه: (إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا - مع

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت، (٥/ ٦٥٠)..

(٢) تقریب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: أبي الأشبال صغير أحمد شاعف، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ص ٨١٢..

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق: د. علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، (٩/ ٤٤٩).

ذلك - لنبلو عليه الكذب^(١).

قال الشيخ: مهلاً يا فتى.. أنت لم تفهم مراد خالنا.. فلو رجعنا إلى شراح قول معاوية لوجدناهم جميعاً يشرحونه بما يبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأخبار، وقد قال ابن حبان في كتاب الثقات: (أراد معاوية أنه يخطئ أحياناً فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذاباً)، وقال عياض: (يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده؛ إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب)، وقال ابن الجوزي: (المعنى: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أخبار الأخبار)^(٢).

أضف إلى هذا، فإن معاوية الذي قال هذا القول، هو نفسه الذي قال: (ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء، وإن كان عنده علم كالبحار، وإن كنا لمفرطين)، فهو قد شهد له بالعلم وغزارته، وحكم على نفسه بأنه فرط في علم كعب، فهل يعقل أن معاوية يشهد هذه الشهادة لرجل كذاب؟! وهل يعقل أن يتحسر ويندم على ما فاته من علم رجل يدلس في كتب الله، ويحرف في وحي

(١) صحيح البخاري.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، (٣٤٦/١٣)..

السماء؟ (١).

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى
لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع
تجاوزهما:

قال الأول: اذهب وحدك.. أما أنا فسأبقى هنا، فعقلي يكاد
يطيش.. فأى منطق يفكر به هؤلاء؟

قال الثاني: أنا معك في هذا.. ألا ترى التناقض العجيب.. فهم
يتشددون في القبعة والسروال.. ثم يتراخون في العقيدة
والتفسير.. أي عقول هذه؟.. أي منطق هذا؟.. أدركني يا رب..
فإني أكاد أجن.

اقتربت من جماعة أخرى، فسمعت ضحكات ساخرة:
قال أحدهم: ألم أقل لكم: إن الإسلام ليس سوى نسخة مشوهة
من اليهودية والنصرانية؟

قال آخر: نعم.. قلت لنا ذلك كثيراً.. لكنك لم تستطع أن تأتي
بدليل واحد.. ولولا أنا وفقنا لركوب هذه الحافلة المباركة لما
ظفرنا بهذه البيئات.

قال آخر: لقد كنت أسجل كل ما قيل.. وقد فتح لي أبواباً من
العلم، سأكتب فيها مقالات محترمة، ترضي أصدقائنا من
العلمانيين والملحدين واللادينيين.

(١) الإسرائيليات في التفسير والحديث، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٥،
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٨٢..

اقتربت من مجموعة ثالثة، فوجدتهم يبكون، وقد غلب عليهم
التأثر:

قال أحدهم: لم لم ننهض ونكسر عليها نلغازه، بل شيطانه..
لقد صبرنا عليه كثيراً.

قال آخر: ألا ترى قسوته وشدته؟

قال آخر: أنخاف على أنفسنا منه؟

قال آخر: لا.. بل نخاف من الفتنة.. ألا تعلمون ما قال
هارون عليه السلام لأخيه؟ لقد قال له: ﴿يَبْنُومُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي
وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ
تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه: ٩٤].. ونحن كذلك.

قال آخر: لا بأس.. فنحن نعيش في دولتهم.. ولا بد أن
نصبر.. وسيبدلنا الله في يوم من الأيام بدولة أوليائه التي تظهر
الإسلام على الدين كله بقيمها وسلامها وتحضرها وربانيتها.

أحلام سلفية

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرات السابقة.. أخرج السائق شريطاً جديداً، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطاً آخر.. يوضح لكم مدى عقلانية توجهنا السلفي المبارك.. ولتعلموا علم اليقين أننا وحدنا الفرقة الناجية.. وأن من عدانا ليس سوى حطب لجهنم.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لثلاثة رجال، يبدون وكأنهم في مناظرة، أما أحدهم، فكان يجلس بينهما، يظهر عليه أنه مدير الجلسة، وعلى يمينه يجلس شيخ يشبه من رأيناهم من المشايخ في الأشرطة السابقة، وفي الطرف الآخر يجلس شيخ يرتدي عمامة خضراء، مثل العمامات التي يرتديها بعض رجال الطرق الصوفية.

ابتدأ رئيس الجلسة حديثه بقوله: يسرنا أن نلتقي اليوم في مناظرة بين رجلين ذوي توجهات مختلفة، أما أحدهما فوصف لي نفسه أنه سني سلفي أثري، وأما الثاني، فوصف لي نفسه أنه مسلم سني صوفي من طريقة من الطرق الصوفية.. وهذه الجلسة مرتبطة بناحية دقيقة، وهي اعتماد الرؤى والأحلام في الدين^(١). ونبدأ كالعادة بصاحب الدعوى، صاحبنا السلفي الأثري،

(١) أردنا من خلال هذا الفصل بيان مدى تناقض السلفيين في موقفهم من الأحلام، وقد رجعنا مراجعهم في هذا إلى كتاب لحمود بن عبد الله بن حمود التويجري بعنوان: (كتاب الرؤيا)

وسأترك الحوار بينهما من غير تدخل مني إلا إذا اقتضى المقام ذلك..

ابتدأ السلفي الأثري بمقدمة طويلة شملت بسملة وحمدلة وقراءة بعض آيات القرآن، ثم قال: أبدأ- أولاً - بأن أقول لهذا الدعي الذي وصف نفسه بكونه سنياً: أنت لست سنياً.. والسنة تبرا منك.. السنة حكر على السلف وأتباع السلف.. وكل من عداهم مبتدعة..

أراد الصوفي أن يتحدث، فأوقفه المذيع، وقال مخاطباً السلفي: أرجو أن تكتفي بدعواك حتى لا نخرج عن الموضوع. قال السلفي: أجل.. دعواي واضحة.. ويدل عليها كل البراهين.. فهؤلاء القوم نتيجة ابتعادهم وإعراضهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم وهدى سلفهم الصالح وقعوا في الخرافة.. فصاروا يعتمدون على الرؤى والأحلام، ويستمدون منها دينهم ومواقفهم.. وكل ذلك ضلال وانحراف وبعد عن المنهج الذي جاء به هذا الدين.. فالله تعالى قال: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].. ولم يقل أطيعوا المنامات والأحلام.

قال الصوفي: صدقت.. ونحن لا نستمد ديننا من الرؤى والأحلام، بل نستمده من كتاب ربنا وسنة نبينا، فهل رأيت صلاتنا أو صيامنا أو أي شعيرة من الشعائر التعبدية التي نمارسها تختلف عن سائر ما يفعله المسلمون.. وهل رأيتنا نحل الحرام، ونحرم الحلال بالرؤى والأحلام.. وهل رأيت عقائدنا التي كتبناها أو كتبها أسلافنا تختلف في شيء عن سائر

المسلمين.. إننا ننتمي لمذاهب فقهية وعقدية كسائر المسلمين.. ولم نر للأحلام أي دخل في هذه الجوانب من ديننا.. وكل مشايخنا متفقون على أن العصمة في الكتاب والسنة، وليست في الكشف أو الرؤى أو أي باب آخر، وقد قال شيخ الطريقة التي أنتمي إليها الشيخ أبو الحسن الشاذلي: (إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف والإلهام)^(١).

ضحك السلفي بسخرية، وقال: ولماذا تولون الأحلام والرؤى كل تلك الأهمية، فلا يكاد يخلو كتاب من كتبكم من الرؤى والأحلام.. وكأنكم تعيشون عالم النوم، لا عالم اليقظة؟

قال الصوفي: رويدك.. لا تحقر شيئاً عظمه الله ورسوله ﷺ.. لقد أخبر رسول الله ﷺ عن أهمية الرؤيا.. ونحن نعظم ما عظمه الله ورسوله.. ونحن نروي تلك الرؤى باعتبارها مبشرات تدعونا إلى العمل الصالح، وطلب القرب من الله، وقد أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤]، وقد ذكر رسول الله ﷺ مصداقاً من مصاديق هذه البشريات، وهو الرؤيا الصالحة، فقال: (أبها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها

(١) إيقاظ الهمم، (٢/٣٠٢)

المسلم أو تُرى له^(١).

قال السلفي: لقد اعتبرها رسول الله ﷺ مبشرات، ولم يعتبرها معلمات أو مفهعات أو مبيّنات لأحكام الله.

قال الصوفي: ونحن نتعامل معها بتلك الصورة، فقد ذكرت لك أننا نتمسك بالشرية كما يتمسك بها سائر المسلمين.. وليس لدينا أي شريعة مبنية على الرؤى والأحلام.

قلب السلفي أوراقاً بين يديه، وقال: لدي أدلة كثيرة على دعواي.. وهذه أولها: لقد حدث بعض الصوفية، فقال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادع الله ألا يميت قلبي، فقال: (قل كل يوم أربعين مرة، يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت)؛ أليس في هذا تشريعاً؟

قال الصوفي: وما الحرج في هذا.. لقد طلب من رسول الله ﷺ حلاً لمشكلة، فأعطاه الحل، وهو ذكر مشروع بصيغ مشروعة.

قال السلفي: والعدد.. أليس بدعة؟

قال الصوفي: أنتم تعتقدون أنه بدعة.. ونحن لا نعتقد ذلك.. والمسألة أطول من أن نناقشها هنا.. وأرى أنها من الخلاف الفقهي المشروع.. كالاختلاف في سائر المسائل الفرعية.

قال السلفي: هذا هروب منك.

قال الصوفي: لا.. ليس هروباً.. ولكن المسألة تعتمد على أصول فقهية كثيرة، ووقتنا لا يسمح بالتفاصيل الكثيرة.. ولكني

(١) رواه مسلم.

أقول لك من باب الاختصار: إن هذا الذي أقول به هو قول أكثر الفقهاء والمحدثين في أزمنة كثيرة، فإن كانت بدعتنا في هذا، فأنت تبدع أكثر الأمة.

قلب السلفي صفحات أخرى، وقال: فلندع هذا.. هذه رؤيا خرافية لصوفي آخر، يقول فيها: رأيت ربي في المنام، فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك وتعال.. انظروا كيف يتجرأ هذا الرجل، فيرى ربه في المنام.. ثم كيف يستفيد أحكاماً في منامه.

ابتسم الصوفي، وقال: بالنسبة للأحكام الجديدة، فأنا لا أرى في الرؤيا أي أحكام جديدة، لأنها تتفق تماماً مع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

وأما بالنسبة لرؤية الله.. فهذا عالم رؤى.. والأمر فيها متسع.. وقد وجدت في مراجعكم فيما رواه ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد) عن أحمد قال: رأيت ربّ العزة عز وجل في المنام فقلت: يا ربّ ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك؟ فقال: كلامي يا أحمد، قال: قلت: يا ربّ بفهم أو بغير فهم؟ قال: بفهم وبغير فهم.

ألا ترى هذه الرؤيا تطابق تماماً ما ذكرته من رؤيا الصوفي؟ ففيها رؤية الله، وفيها استفاضة أحكام هي أخطر بكثير من الأحكام التي ذكرها الصوفي؛ لأنني لا أراها تتفق مع ما ورد في القرآن الكريم من الحث على التدبر والفهم.. وقد رأيت الكثير يزهد في فهم القرآن وفي تدبره ويستدل لذلك بهذه الرؤيا، وكأنها حديث

لرسول الله ﷺ، وليست مجرد رؤيا لفقهاء من الفقهاء.
قال السلفي: ويلك.. أتعقب على ناصر السنة وقامع البدعة
الإمام أحمد بن حنبل.. صاحب أكبر محنة في التاريخ..
قال الصوفي: أنا أعقب على رؤياه، وليس عليه.. فرؤياه
تحتاج إلى عرضها على القرآن الكريم كأى شيء آخر.. لأن الله
ضمن لنا العصمة في كتابه وفي نبيه ﷺ ولم يضمنها في أحد
من الفقهاء.

قال السلفي: ويلك.. أنت أعلم بالقرآن من الإمام أحمد.. ذلك
الذي كان يحفظ ألف ألف حديث؟
قال الصوفي: لعلك لم تفهمني.. أردت فقط أن أوضح لك أن
رؤية الله ممكنة ولا حرج فيها، وقد تحققت لإمامك وإمامي.
قال السلفي: ويلك.. أتقارن إمامك البدعي الملحد الكافر
بإمامي السني السلفي الأثري؟
أراد الصوفي الحديث، فتدخل مدير الجلسة، وقال: نرجو
العودة للموضوع.

قال الصوفي: لا أرى من المنطق أن ننكر شيئاً، ثم نأت
مثله.. إن هذا يخالف ما ورد في القرآن الكريم، فقد قال تعالى:
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ
أَنْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

قال السلفي: ألي تشير بهذه الآية؟
قال الصوفي: لك ولأصحابك.. فأنتم تتكرون على الصوفية
وتزعمون أنهم يتلقون دينهم من الرؤى والأحلام، بينما نجد
مصادركم التي تعتمدونها تطفح بذلك.

قال السلفي: هذه دعوى.

قال الصوفي، ولدي أدلتها.

قال السلفي: فهاتها..

قلب الصوفي بعض الأوراق، ثم قال: انظر.. هذا ما رواه القاضي أبو الحسين في (طبقات الحنابلة) عن أحمد قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله كل ما روى عنك أبو هريرة حق؟ قال: (نعم)

ألا ترى أن هذه الرويا تحكم بعصمة أبي هريرة في الرواية عن رسول الله ﷺ مع أن الكثير من مشايخ الحديث، بل من مشايخ الإمام أحمد يرمونه بالتدليس، ولذلك اختلطت رواياته بروايات كعب الأخبار^(١).. فأيهما نصدق: هل روى الإمام أحمد، أم قول المحدثين؟

قام السلفي غاضباً، وقال: أتطعن في أبي هريرة.. أتسب أبا

هريرة؟

قال الصوفي: هذا ليس طعناً، ولا سباً.. فأنا أحترم جميع الصحابة، كما أحترم أي شيء له علاقة برسول الله ﷺ.. لكن الاحترام شيء، والدين شيء آخر.. فالدين من الله.. ولهذا نحتاج إلى الاحتياط فيه.. والاحتياط في الدين يقتضي التشدد في قبول

(١) من الأمثلة على ذلك ما رواه البيهقي في السنن الكبرى عن أبي سلمة: أنه سمع أبا هريرة يقول: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله عز وجل آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه تقوم الساعة، ورواه الأوزاعي، عن يحيى زاد قال: قلت له: شيء سمعته من رسول الله ﷺ، قال: بل شيء حدثناه: كعب، وفي نفس الوقت نرى هذا الحديث رواه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

الرواية عن رسول الله ﷺ؛ لأن حديثاً واحداً قد يهدم الدين من أساسه.. وقد اعترضت أم المؤمنين عائشة على كثير من الصحابة في روايته، ومن ذلك أنها لما سمعت حديث (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه!) أنكرته، وحلفت أن الرسول ﷺ ما قاله، وقالت- بياناً لرفضها إياه- (حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤] ^(١)).

قال السلفي: أهذا ما عندك من الأدلة؟

قال الصوفي: الأدلة أكثر من أن تحصر.. انظر هذا المثال الخطير.. لقد حدث ابن الجوزي عن عبد الوهاب الوراق قال: رأيت النبي ﷺ أقبل فقال لي: (ما لي أراك محزوناً؟) قال: قلت: وكيف لا أكون محزوناً وقد حل بأمّتك ما قد ترى، قال: فقال لي: (لينتهين الناس إلى مذهب أحمد بن حنبل، لينتهين الناس إلى مذهب أحمد بن حنبل) ^(٢).

وحدث عن أبي عبد الله السجستاني قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله من تركت لنا في عصرنا هذا من أمّتك نفتدي به في ديننا؟ قال: (عليكم بأحمد بن حنبل) قال السلفي: وما في هذه الرؤيا.. إنها بشارة بأن مذهب الإمام أحمد حق.. وأنه السنة.. وأن الناس لا محالة سينتهون

(١) الحديث في الصحيحين بهذه الصيغة: أنكرت ذلك عائشة وقالت: (رحم الله عمر، والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكنه قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه. وقالت: حسبكم القرآن: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

(٢) هذه الرؤيا وغيرها من الرؤى التالية منقولة من كتاب الرؤيا للتبجي، وهو من مشايخ السلفية المعتمدين، بل من المجمع عليه عندهم، والذين زكاهم ابن باز كثيراً.

إليه.. وذلك هو الواقع.

قال الصوفي: ولكن كل هذه تشريعات.. وكأنكم من خلال الاستدلال بهذه الرؤيا تحرمون مناقشة ما جاء به إمامكم.. لأن رسول الله ﷺ قد وقع لكم عليه.

قال السلفي: وأنتم أيضاً.. لقد تلاعب الشيطان بكم بما زعمتموه من تأييد النبي ﷺ لكتاب الإحياء.. فقد روى الياضي أنه رأى النبي ﷺ في المنام فناوله كتاب الإحياء، فتصفحه ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال: والله إن هذا الشيء حسن، ثم ناوله الصديق، ثم ناوله الفاروق، فأثبنا عليه، وأمر النبي ﷺ بتجريد الفقيه علي بن حرزهم الذي أمر بإحراق كتاب الإحياء عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب إلى آخر هذه الفرية^(١).

ومثله قول الساوي أنه رأى النبي ﷺ عليه زي أهل التصوف، وقرأ عليه قواعد العقائد الذي صنفه الغزالي، فأذن له في القراءة فقرأ عليه الكتاب^(٢).

قال الصوفي: لا بأس.. ولو أن هذه الرؤيا يمكن توجيهها لکني مع ذلك أتنازل، فأذكر لك بأن هذه الرؤيا لا يمكن قبولها جملة، فليس الإحياء قرآناً حتى نقبل كل ما فيه.. فهل تتنازل أنت أيضاً عن رؤيا الإمام أحمد؟

قال السلفي: ويلك.. أبك لوثة من جنون؟.. كيف تضع الإمام

(١) انظر: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء (٣/٥، ٤) ملحق بالإحياء، دار المعرفة، وطبقات السبكي (٤/١٣١، ١٣٢).

(٢) انظر: تبیین کذب المفتری (٢٩٧-٢٩٩)

أحمد ناصر السنة في مرتبة واحدة مع أبي حامد الغزالي الضال
المبتدع الذي أحرق سلفنا كتبه؟
قال الصوفي: أنا لا أتحدث عن الرجلين.. بل أتحدث عن
الرؤى والأحلام.

قال السلفي: ولو.. فأحلام السنيين السلفيين الأثريين هي التي
ينطبق عليها حديث البشارة، أما أحلام الصوفية فأبعد من أن
ينطبق عليها ذلك.. لقد روى ابن الجوزي عن بندار بن بشار
قال: رأيت أحمد بن حنبل في المنام شبه المغضب فقلت: يا أبا
عبد الله أراك مغضباً، فقال: وكيف لا أغضب وجاعني منكر
ونكير يسألان مَنْ ربك فقلت لهما: ولمتلي يقال مَنْ ربك، فقالا
لي: صدقت يا أبا عبد الله ولكن بهذا أمرنا فاعذرنا.
أرأيت هذه الرؤيا، وكيف تدل على مبلغ معرفة الإمام أحمد
بالله.. فكيف تقيس به الغزالي ذلك الصوفي الأشعري الجهمي
الملحد المعطل.

ألم تعلم ما ورد في حق المعطلة من الجهمية وغيرهم من
الأثار الصحيحة الصريحة.. لقد حدث الخطيب البغدادي في
تاريخه عن يحيى بن يوسف الزمي قال: (رأيت في المنام إبليس
رجلاه في الأرض ورأسه في السماء أسود مثل الليل وله عينان
في صدره، فلما رأيته قلت: من أنت؟ قال: هو إبليس فجعلت اقرأ
آية الكرسي، قال: فقلت له: ما أقدمك هذه البلاد؟ قال: إلى بشر
ابن يحيى رجل من الجهمية، قال: قلت: من استخلفت بالعراق؟
قال: ما من مدينة ولا قرية إلا ولي فيها خليفة، قلت: ومن
خليفتك بالعراق؟ فقال: بشر المريسي دعا الناس إلى أمر عجزت

عنه. وفي رواية قال: دعا الناس إلى ما عجزت عنه قال القرآن مخلوق، وقال في هذه الرواية، إن بشر بن يحيى كان بمرور يرى رأي المريسي).

وروى الخطيب أيضًا بسند صحيح كله ثقة عن أحمد بن الدورقي قال: (مات رجل من جيراننا شاب رأيت في الليل وقد شاب فقلت: ما قصتك؟ قال: دفن بشر المريسي في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في المقبرة).

وروى الخطيب وابن الجوزي بسنده عن عبد الله بن المبارك الزمّ قال: (رأيت زبيدة في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قالت: غفر لي بأول معول ضرب في طريق مكة، قلت: فما هذه الصفرة في وجهك؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له بشر المريسي زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جلدي، فهذه الصفرة من تلك الزفرة، قلت: فما فعل أحمد بن حنبل؟ قالت: الساعة فارقتني أحمد بن حنبل في طبار من درة بيضاء في لجة حمراء يريد زيارة الجبار عز وجل، قلت: بما نال ذلك؟ قلت: بقوله القرآن كلام الله غير مخلوق.

وحدث الخطيب عن سفيان بن وكيع قال: (رأيت كأن جهنم زفرت فخرج منها اللهب فقلت: ما هذا؟ قال: أعدت لابن أبي دؤاد).

وحدث ابن رجب عن علي الضرير قال: رأيت صدقة الناسخ في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بعد شدة فسألته عن علم الكلام، فقال: لا تشتغل به فما كان شيء أضرت علي منه وما نفعني إلا خمس تميرات تصدقت بها على أرملة.

وقد علق ابن رجب على هذه الرؤيا بقوله: (هذا المنام حق، وما كانت مصيبته إلا من علم الكلام، ولقد صدق القائل ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح).

التفت السلفي إلى الصوفي، وقال: هذه حجتي.. فهات حجتك. قال الصوفي: ليس لدي ما أقوله.. فقد كفييتي وشفيتي. هوى السلفي إلى الأرض ساجداً، وقد تهلل وجهه استبشاراً، وهو يقول: الحمد لك يا رب.. لقد نصرت السنة، وقمعت البدعة.. ولا نسألك إلا أن تشفي غلبنا بحرق هؤلاء في الآخرة، وذبحهم وتجميد الدماء في عروقهم في الدنيا.. فيعز علينا أن يقابلوا نعمك بالشرك والضلال.

ثم جلس، وقال: بالمناسبة أذكر رؤيا رآها بعض إخواننا من السلفيين فيها الأمر بذبح بعض المبتدعة، أريد أن أختم بها⁽¹⁾: لقد رأى رسول الله ﷺ في المنام، فقال: (يا رسول الله فلان يطعن في بعض أصحابك)، فقال له ﷺ: (خذ هذه المدينة فاذبحه بها)، قال الرجل: فأخذتها، فأضجعت، وذبحت، على الهيئة التي يمارسها إخواننا أصحاب الدولة، ورأيت كأن يدي أصابها من دمه، فألقيت المدينة وأهويت بيدي إلى الأرض لأمسحها، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره فقلت: ما هذا الصراخ؟ قالوا: فلان مات فجأة فلما أصبحنا جئنا فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح.

تحسس مدير الجلسة رقبته، وقال: هنيئاً لأخينا السلفي

(1) ذكر هذه الرؤيا ابن القيم وغيرها، وهي في كتاب الرؤيا للتوحيدي، وهم يستدلون بها.

الأثري.. فقد انتهت الجلسة.. وقد انتصر فيها كما عودنا في كل مرة نستضيفه فيها.

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى لنستريح، وهناك اقتربت من رجلين من الركاب لأسمع تحاورهما:

قال الأول: هل رأيت.. ألم أكن أقول لك دائماً إن المجتمع الذي يعتمد على الأحلام لن يعيش أبداً حالة اليقظة.. وأن المجتمع المسلم سيبقى متخلفاً ما دام أهل الرؤى والأحلام هم الذين يتحكمون فيه.

قال الثاني: صدقت.. واليوم سلمت لك.. وأنا في حاجة بعد الآن إلى مراجعة الكثير من أفكارى..
انتقلت إلى مجموعة أخرى، فسمعت ضحكات وهمسات، فلم تطق نفسي أن تقترب منهم، ولم تطق أدني أن تتصنت عليهم.

عفاريت وسحرة

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرات السابقة.. أخرج السائق شريطاً جديداً، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطاً آخر.. يوضح لكم الجهل والخرافة والشعوذة التي يقع فيها كل من انحرف عن الصراط المستقيم صراط السلف الصالح.. الذين جعلهم الله لنا منارة نهتدي بها حتى لا نقع في سراييب الدجل والجهل التي وقع فيها المنحرفون عنا.. وما سترونه هو حلقة من حلقات برنامج (نحن والآخر) الذي يذاع في قناتنا المشهورة (البريهارية)، وغرضه تبين فضائل السلفية والسلفيين، والانحرافات التي يقع فيها مخالفوهم، للشباب حتى لا تجذبهم الفرق الضالة.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لشيخ يقف بين مجموعة من الشباب يحدثهم.

قال الشيخ: بعد هذا تعالوا بنا لنرى الصوفية وادعاءهم الاتصال بعالم الغيب.. ولعل أحسن عبارة نسوقها لتعبر عنهم في هذا هو ما قاله عالمهم الذي يرجعون إليه كل حين أبو حامد الغزالي في كتابه الذي سماه (المنقذ من الضلال) بينما التسمية الحقيقية له هي (المنقذ من الهدى) أو (الموقع في الضلال)^(١).

(١) يمارس السلفيون ابتداءً من أوانهم كثيراً هذا السلوك الذي يعتبر من التنازع بالألقاب، وقد كان ابن تيمية يسمي مؤمن الطاق، شيطان الطاق، والشواهد على ذلك كثيرة جداً.

لقد أطلق الغزالي في كتابه هذه الدعوى الخطيرة.. لقد قال:
(ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتى أنهم في
يقتظهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتا
ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور
والأمثال، إلى درجات يضيق عنها النطق)^(١).

إن هذه العبارة تختصر سبب ما وقع فيه الصوفية من خروج
عن السنة وهدى السلف الصالح.. إنه تلك الخرافات والأباطيل
التي يزعمون أنهم يتلقونها عن الملائكة والأنبياء.

ضحك بصوت عال، وقال: وهل يمكن لأحد من غير الأنبياء
أن يرى الملائكة.. إن أمر هؤلاء عجيب.

والأعجب منه اعتقادهم بحياة الرسل والأولياء وقربهم، وأن
الموت لم يصب منهم إلا أجسادهم، وأن أنوارهم ساطعة قريبة،
يمكن لكل من تطهر أن يتصل بهم، ويستفيد منهم، ويتربى على
أيديهم، ويستلهم من إرشاداتهم.. حتى أن بعضهم، وهو الشيخ
(إبراهيم المتبولي) ذكر عنه الشعراني أنه (كان من أصحاب
الدوائر الكبرى في الولاية، ولم يكن له شيخ إلا رسول الله ﷺ،
وكان يرى النبي ﷺ في المنام فيخبر أمه فتقول: يا ولدي إنما
الرجل الذي يجتمع به في اليقظة، فصار يجتمع به في اليقظة
ويشاوره على أموره، قالت له: الآن شرعت في مقام
الرجولة)^(٢).

(١) المنقذ من الضلال (ص: ١٧٨)

(٢) الطبقات الكبرى (لوائح الأنوار في طبقات الأخيار) (٧٥/٢)

وروي عن الشيخ أبي العباس المرسي أنه قال: (لو حجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عدت نفسي من المسلمين)، وفي لفظ آخر: (لو حجبت عني جنة الفردوس طرفة عين أو رسول الله ﷺ وفاتني الوقوف بعرفة سنة واحدة ما عدت نفسي من جملة الرجال)^(١).

وروي عن الشيخ أبي السعود أبي العشائر، قال: (كنت أزور شيخنا أبا العباس البصير أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الأندلسي رضي الله عنه، الذي برع في علوم الشرع ببلده ثم سافر على قدم التجريد فدخل الصعيد، ثم أقام بالقاهرة يقرئ الناس وينفعهم، أجاز سبعة آلاف رجل بالقراءات السبع، وكان بارعاً في الحديث حافظاً لمتونه عارفاً بعلمه ورجاله حسن الاستنباط بذهن وقاد، مات سنة ثلاث وعشرين وستمائة، فلما انقطعت واشتغلت وفتح علي لم يكن لي شيخ إلا النبي ﷺ، وذكر أنه كان يصافحه عقب كل صلاة وذلك يقظة وحسبه بذلك شرفاً)^(٢).

وروي عن الشيخ (خليفة بن موسى النهر ملكي) (أنه كان كثير الرؤية لرسول الله ﷺ يقظة ومناماً، وراه في ليلة واحدة سبع عشرة مرة، قال في إحداهن: يا خليفة لا تضجر مني، فكثير من الأولياء مات بحسرة رؤيتي). ويذكر الشيخ (محمد بن أحمد النبهان الحلبي) عن نفسه أنه

(١) المرجع السابق (١٣/٢)

(٢) عبد الوهاب الشعرائي، الطبقات الكبرى (لوائح الأتوار في طبقات الأخيار)، (١٣٧/١)

تشرّف بهذه الرؤية، ومما قاله في هذا الشأن (..) وكنت أجلس معه عليه السلام لا أريد مفارقتة ولا يريد مفارقتي، وكان يمشي معي في الطريق ويعلمني كل شيء، فإذا أردت أن أنفك عنه لا أقدر، وكنت أجتمع بالرسول عليه السلام يقظة وأكلمه كما يكلم الجليس جليسه، فالرسول عليه السلام إمامنا وصديقنا وإذا صدقتم فهو يمشي معكم في الطريق^(١).

بل إن الأمر عند الصوفية تجاوز هذا فهم يرون الرجوع إلى رسول الله عليه السلام في كل محل، وقد نقل النبهاني عن كتاب (العهود المحمدية) للشعراني قوله نصيحة لمن رغب في المجاورة في أحد الحرمين: (فإن كان من أهل الصفاء فليشاوره عليه السلام في كل مسألة فيها رأي أو قياس ويفعل ما أشار به عليه السلام بشرط أن يسمع لفظه عليه السلام صريحاً يقظة، كما كان عليه الشيخ محي الدين بن عربي رحمه الله قال: وقد صححت منه عليه السلام عدة أحاديث قال بعض الحفاظ بضعفها فأخذت بقوله عليه السلام فيها، ولم يبق عندي شك فيما قاله وصار ذلك عندي من شرعه الصحيح أعمل به وإن لم يطعني عليه العلماء بناء على قواعدهم^(٢)).

التفت إلى الجمع، وقال: هل رأيتم خرافات أكثر من هذه الخرافات؟ هل رأيتم ضلالة أكبر من هذه الضلالة؟

فمع أن رسول الله عليه السلام مات، وقد قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] إلا أن هؤلاء، ولغوايتهم لا

(١) انظر: الموقع المخصص له في الإنترنت، موقع العارف بالله محمد بن أحمد النبهاني

الجلبي على هذا الرابط: (<http://alsayed-alnabhan.com>)

(٢) النبهاني، سعادة الدارين، ص ٤٤٠.

يزالون يصرون على أنه حي.
ولذلك نجدهم يقعون في الشرك الأعظم حين يتوسلون به
ويستغيثون..

تصوروا الطامة التي تقع فيها الأمة الإسلامية نتيجة انحرافها
عن هدي سلفها الصالح.. لقد تحول رسول الله ﷺ الذي جاء
بنفس التوحيد الذي جاء به محمد بن عبد الوهاب إلى صنم يعبد
من دون الله.

لقد صار الحجاج يخرجون من بيوتهم، ويقطعون المسافات
الطويلة.. وكل قلوبهم وعقولهم نحو قبر رسول الله ﷺ.. كيف
يمكن اعتبار هؤلاء حجاجاً؟

قال له بعض الحاضرين: لكننا مع ذلك نرى الصوفية لا
يذكرون في لقاءاتهم التي يزعمونها إلا خيراً.. فبعضهم يذكر أن
رسول الله ﷺ وجهه نحو عمل خيرى، وبعضهم يذكر أنه
وجهه إلى طاعة من الطاعات، أو عبادة من العبادات أو ذكر من
الأذكار.. ألا ترى شيخنا الفاضل أنه حتى لو كانت الوسيلة
خاطئة، فالنتيجة طيبة؟

قام الشيخ من مكانه، والغضب يملأ وجنته، وقال: هذا ما
كنت أخافه عليكم أيها الشباب الأغرار.. إنهم يكذبون عليكم..
إنهم دجالون فلا تستمعوا لهم.. ليس في ديننا القاعدة التي وضعها
الكفار (الغاية تبرر الوسيلة).. لا بد أن تكون الغاية والوسيلة
كلاهما مشروعان حتى يعتبر العمل شرعياً.. ولهذا فإن الاتصال
بعالم الغيب دجل وخرافة.. وكل ما نتج عن ذلك خرافة.. وكل
الأوراد التي يزعمون أنهم يفعلونها ليتصلوا بعالم الغيب ضلال

وشرك وبدعة وخرافة.

لقد قال شيخنا العربي التبسي الجزائري عند رده على الأوراد التي تمارسها الطرق الصوفية: (من البين لجميع من عرف الطرائق التي غضت بها الجزائر؛ أنها اشتركت في أمور وامتازت كل واحدة بخواص تجعلها منفصلة عن البقية تستحق بها اسم: طريقة فلان، وقد وضعوا طرائقهم كالشرع الموضوع المتبع، وبنوا هذه الأذكار على أوضاع وهيآت وألحقوا بها أدعية أحدثها من أسس الطريقة.. ومن الشائع الذائع: أن هذه الأذكار يعطيها رؤساء الطرائق أو من يقيمونه، ويسمى بأخذ الورد أو رفع السبحة ويعينون أعدادها وصيغها وأوقاتها وما يرتئونه من آدابها، ونحن نعرض عملهم هذا ونقيسه بالهدي النبوي وعمل السلف فذلك الدين، وما لم يعرف في هذه الأيام بعموم أو خصوص فليس من الدين، وما دام ليس من الدين فإنكاره قرينة والاعتراف به بدعة)^(١).

وقد ذكر الشيخ بعد بحثه في تراث سلفنا الصالح أنه لم يجد شيئاً من ذلك، فد (السلف رضي الله عنهم لما لم ينقل عنهم تحديد ولا توقيت وهم أهل الدين صدقاً وأصحاب الذكر حقاً دل على أنهم فهموا من الشرع عدم التحديد والتوقيت، ولن يستطيع آخر الأمة أن يأتي بهداية لم يأت بها أولها)^(٢).

(١) العربي التبسي، بدعة الطرائق في الإسلام، ص ١٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢.

ما وصل الشيخ إلى هذا الحد من كلامه حتى صاح بعض الشباب صيحة عظيمة ارتجت لها القاعة، ثم سقط على الأرض، وهو يصيح: ماء.. ماء.

اجتمع الحضور عليه، وأراد بعضهم أن يحضر له ما طلب.. فنادى الشيخ بصوت عال: توقفوا.. توقفوا.. ابتعدوا عنه.. سأتولى أمره أنا.. أحضروا لي ماء وملحاً ووسطاً.. وسترون كيف يعود إلى وعيه.

ابتعد الحضور عنه، وذهب بعضهم ليحضر له ما طلب، وفي تلك الأثناء اقترب الشيخ منه، وراح يصيح فيه بصوت عال: أعرفك جيداً أيها الوقح.. لقد كلفك سحرة الصوفية بأن تقسد علي جلستي ككل مرة.. ولن أسكت عنهم ولا عنك، وسترى ما أفعل بك.

كان الشاب يرتجف بشدة، ويصيح طالباً الماء.. أراد بعض الحضور أن يقدمه له، فدفعه الشيخ، وهو يقول: وبلك أتريد أن تسقي الجن ماء عذباً.. نحن لا نسقيهم إلا ماء مالحاً ليتعذبوا به. قال الرجل: أنا لا أرى جنّاً.. أنا لا أرى أمامي إلا هذا الشاب المسكين.. وأريد أن أقدم له ما طلب.

قل الشيخ: هو الآن ليس الشاب الذي تعرفون.. إنه مسكون من عفريت من العفاريت.. أعرفه جيداً.. وأعرف البلاد التي جاء منها.. وكم من مرة هممت بحرقه لكنه كان يفر.. إنه يتبعني حيث سرت ليفسد علي توجيهاتي ومواعظي.. لكنني اليوم لن أتركه.. إما أن يسلم وإما أن أحرقه.. أحضروا لي بسرعة ماء

مالحاً شديد الملوحة.. وأحضروا لي سوطاً أو عصاً أو أي شيء..
قدم له بعض الحاضرين ما طلب، فأخذ يصيح في الشاب: إما
أن تخرج يا عدو الله.. وإما أن أسقيك ما يجعلك رماداً.
لم يجد الشاب ما يقول، فأخذ الشيخ العصا، وراح يضربه بها
بقوة، وهو يقول: هذا هو جزاؤك يا عدو الله.. في كل مرة تقسد
علي مجلسي.. أخبرني من أرسلك من الصوفية إلي..
كان الشاب يتألم، ولا يستطيع الحديث.. وكان الشيخ يضربه
بقوة.. ثم يأخذ الماء المالح ويسقيه إياه فيتقبأ الشاب المسكين..
قرأ الشيخ بعض آيات القرآن، ثم قال: تكلم وإلا أحرقتك..
أنت تعلم أنني صادق فيما أقول.. أخبرني من أرسلك إلي وإلا
أوجعتك ضرباً.

بدأ الشاب يستعيد وعيه.. وأخذ ينظر إلى الجموع مستغرباً ما
يحصل له.. لكن الشيخ لم ير ذلك، بل راح يصيح فيه بقوة: هيا
أخبرني من أرسلك من الصوفية لتقسد علي جلستي.
قال الشاب: أنا لا أعرف شيئاً.. ما الذي حصل؟
قال الشيخ: أنت عفريت محتال.. تريد أن تحتال علي ككل
مرة لتفر بجلدك.. لن أتركك هذه المرة حتى تخبرني.. انظر إلي
هذه العصا ستقطعك إرباً إرباً إن لم تخبرني من أرسلك من
الصوفية.

قال الشاب: أنا لا أعرف شيئاً.. لقد أغمي علي فقط.. وهذا
يحصل لي أحياناً ثم أفيق بعدها.
قال الشيخ: لقد عدت لكذبك.. ولن أرحمك هذه المرة..
أمسكوه.

أمسكه الشباب المحيطون به، فراح الشيخ ينهال عليه ضرباً بالعصا، وهو يتألم ألماً شديداً، ويقول: والله لا أعرف شيئاً.. لقد جئت فقط إلى هنا للاستماع إلى محاضرتك.

قال الشيخ، وهو يضربه: كذاب.. لقد أرسلك بعض الصوفية لتشوش علي.. أعرف أنك من العفاريت الحمر.. لقد أخبرني بعض الوسطاء عن ذلك.. ولن أدعك اليوم حتى تجيبني أو أحرقتك.

قال الشاب: والله لا أعرف شيئاً.. وأنا إنسي، ولا علاقة لي بالعفاريت.

التقت الشيخ إلى الحضور، وقال: هكذا العفاريت دائماً.. يلجؤون إلى الكذب عندما تضيق بهم السبل.. لكنني سأستعمل رقية ابن جبرين.. وسترى كيف تحولك يباباً أو سراباً أو رماداً. قرأ عليه بعض آيات القرآن، وبعض الأدعية، لكن الشاب بقي مستغرباً يحاول التوصل، فلا يستطيع.

قال الشيخ: ما دامت رقية ابن جبرين لم تؤثر فيك، فسأقرأ عليك رقية ابن القيم التي ذكرها في زاد المعاد.. نعم هي للعين، ولكنه يمكن - كما ذكر لي بعض المشايخ، وقد أجازني في ذلك - أن تطبق مع العفاريت والسحرة، وقد جربت ذلك.

ضرب الشاب سبع ضربات قوية، وكان يقول عند كل ضربة: بسم الله، حبس حابس، وحجر يابس، وشهاب قابس، ردت عين العائن عليه، وعلى أحب الناس إليه، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤].

وبعد أن انتهى التفت إلى الحضور، وقال: لقد ذكر ابن القيم هذه الرقية في الكتاب الذي خصه لهدي النبي ﷺ، فقال: (من الرقى التي ترد العين ما ذكر عن أبي عبد الله الساجي، أنه كان في بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقاة فارهة، وكان في الرفقة رجل عائن، فلما نظر إلى شيء إلا أنلفه، قيل لأبي عبد الله: احفظ ناقتك من العائن، فقال: ليس له إلى ناقتي سبيل، فأخبر العائن بقوله، فتحين غيبة أبي عبد الله، فجاء إلى رحله، فنظر إلى الناقاة، فاضطربت وسقطت، فجاء أبو عبد الله، فأخبر أن العائن قد عانها، وهي كما ترى، فقال: دلوني عليه. فدل، فوقف عليه، وقال: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٣، ٤]، فخرجت حدقتنا العائن، وقامت الناقاة لا بأس بها^(١).

هل رأيت كيف استطاعت هذه الرقية السلفية العجيبة أن تحيي الناقاة؟

التفت إلى الشاب، فوجده لا يزال مصرّاً على عناده، فقال: ألا تريد أن تخبرني عن الصوفية الذين أرسلوك؟

قال الشاب: صدقني يا شيخ.. والله لا أعرف شيئاً.. كل ما في الأمر أنني حضرت لأسمع منك.

ضربه الشيخ بقوة، وهو يقول: كاذب أنت.. ككل العفاريت.. إن لم تجد فيك رقية ابن القيم.. فسأقرأ عليك رقية ابن تيمية. قرأ عليه الرقية، وضربه أثناءها ضرباً مبرحاً.. ولكن الشاب

(١) زاد المعاد: ١٧٤/٤.

لم يدل بأي اعتراف، فأمر الشيخ بأن يحضروا له بعض النار..
فخاف الشاب خوفاً شديداً، وصاح: سأعترف.. سأعترف بمن
أرسلني.

التفت الشيخ إلى الحضور، وهو يقول: رأيتم.. هكذا هم
العفاريت دائماً لا يستجيبون إلا بالتخويف.
ثم التفت للشاب، وقال: من أرسلك إلي؟
قال الشاب: أليس الشعراني والغزالي كما ذكرت لنا من
الصوفية؟

قال الشيخ: بلى.. بل هما من كبار أصنام الصوفية.
قال الشاب: فهما اللذان أرسلاني إليك.
التفت الشيخ إلى الحضور، وقال: رأيتم هذين المجرمين..
عند ما فطنت لتحريفهما للدين وحذرت منهما صاروا يرسلان إلي
العفاريت..

ثم التفت إلى الشاب، وقال: وبماذا وعداك إن نفذت مهمتك؟
لم يجد الشاب ما يقول، فأخذ الشيخ في ضربه إلى أن غشي
عليه.. وحاول الشيخ بكل جهده أن يوقظه لكن لم يستطع مع أنه
قرأ عليه كثيراً من الرقى.. فتركه، وطلب من الحضور إخراجه،
فأخرجوه، ثم عاد الشيخ إلى مجلسه، وقال: لا تفلقوا عليه.. لقد
غادره العفريت.. لكنه يحتاج إلى بعض الوقت ليفيق.

تعجب الحضور من الشيخ، وقال بعض الشباب: لم نكن نعلم
يا شيخ أنك تعرف مثل هذه الأمور.

قال الشيخ: هذا من بركات شيخ الإسلام ابن تيمية ومشايخ
السلفية الذين وفقني الله للتلمذ على أيديهم.

قال آخر: ولكن يا شيخ ألا ترى أنك ضربته ضرباً مبرحاً شديداً.. وقد يؤثر ذلك في صحته؟

قال الشيخ: ويحك.. أنا لم أكن أضربه.. بل كنت أضرب العفريت الذي كان يسكنه.. وقد أجاز مشايخنا استعمال هذه الوسيلة.. حيث فعلها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وذكره الشبلي وابن مفلح والعلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ أبو بكر الجزائري وغيرهم كثير.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية، فقد ذكر ذلك في مواضع كثيرة من كتبه، منها قوله: (لكن ينصر بالعدل كما أمر الله ورسوله ﷺ، ويجوز في ذلك ما يجوز مثله في حق الإنسي، مثل أن يحتاج إلى انتهاز الجني وتهديده ولعنه وسبه)^(١).

وقال: (ولهذا قد يحتاج في إبراء المصروع ودفع الجن عنه إلى الضرب، فيضرب ضرباً كثيراً جداً، والضرب إنما يقع على الجني، ولا يحس به المصروع حتى يفيق المصروع، ويخبر أنه لم يحس بشيء من ذلك، ولا يؤثر في بدنه، ويكون قد ضرب بعضاً قوية على رجليه نحو ثلاثمائة أو أربعمئة ضربة وأكثر وأقل، بحيث لو كان على الإنسي لقتله، وإنما هو على الجني والجني يصيح ويصرخ، ويحدث الحاضرين بأمور متعددة كما قد فعلنا نحن هذا وجربنا مرات كثيرة يطول وصفها بحضرة خلق

(١) مجموع الفتاوى - ١٩ / ٥٠.

كثيرين)^(١).

وقال: (وإذا ضرب بدن الإنسي؛ فإن الجني يتألم بالضرب ويصيح ويصرخ ويخرج منه ألم الضرب، كما قد جرب الناس من ذلك ما لا يحصى، ونحن قد فعلنا من ذلك ما يطول وصفه)^(٢).

وقال: (فإنه يصرع الرجل؛ فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضرب على بدنه ضرباً عظيماً لو ضرب به جمل لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله)^(٣).

وقد حكى ابن مفلح - وهو تلميذ لشيخ الإسلام - فقال: (كان شيخنا - يعني شيخ الإسلام ابن تيمية - إذا أتى بالمصروع وعظ من صرعه وأمره ونهاه، فإذا انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود، وإن لم يأتهم ولم ينته ولم يفارق؛ ضربه حتى يفارقه)^(٤).

وقد كان هذا سنة سلفنا الصالح، فقد قال القاضي أبو الحسن ابن أبي يعلى بن الفراء الحنبلي: سمعت أحمد بن عبيد الله قال: سمعت أبا الحسن علي بن علي بن أحمد بن علي العكبري قدم علينا من عكبرا في ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثمائة قال: حدثني أبي عن جدي قال: كنت في مسجد أبي عبد الله أحمد بن حنبل،

(١) مجموع الفتاوى - ١٩ / ٦٠.

(٢) مجموع الفتاوى - ١٠ / ٣٤٩.

(٣) مجموع الفتاوى - ٢٤ / ٢٧٧.

(٤) الفروع - ١ / ٦٠٧.

فأنفذ إليه المتوكل صاحبًا له يعلمه أن له جارية بها صرع وسأله أن يدعو الله لها بالعافية، فأخرج له أحمد نعلي خشب بشرآك من خوص للوضوء فدفعه إلى صاحب له وقال له: امض إلى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس هذه الجارية وتقول له - يعني للجني - قال لك أحمد: أيما أحب إليك تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذه النعل سبعين، فمضى إليه وقال له مثل ما قال الإمام أحمد، فقال له المارد على لسان الجارية: السمع والطاعة لو أمرنا أحمد أن لا نقيم بالعراق ما أقمنا به.. وخرج من الجارية.. وهدأت ورزقت أولادًا، فلما مات أحمد عاودها المارد فأنفذ المتوكل إلى صاحبه أبي بكر المروزي وعرفه الحال.. فأخذ المروزي النعل ومضى إلى الجارية فكلمه العفريت على لسانها: لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك، أحمد بن حنبل أطاع الله فأمرنا بطاعته^(١).

قال أحد الحاضرين: ولكن ألا ترى يا شيخ أن فتح هذا الباب سيؤدي إلى مفسد عظيمة؟

قال الشيخ: أجل.. صدقت.. ولهذا حذر مشايخنا من لا يعرف الرقية معرفة جيدة، أو يجاز فيها من مشايخ معتبرين أن يمارسها حتى لا يهلك الخلق بها.. وقد سئل فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز عن جواز الضرب والخنق والتحدث مع الجن لمن يعالج المرضى بقراءة القرآن؟ فأجاب: (هذا قد وقع شيء منه من بعض العلماء السابقين مثل شيخ الإسلام ابن تيمية -

(١) أحكام الجن - نقلًا عن طبقات أصحاب الإمام أحمد - ص ١٥٢.

يرحمه الله تعالى - فقد كان يخاطب الجني ويخنقه ويضربه حتى يخرج، وأما المبالغة في هذه الأمور مما نسمعه عن بعض القراء فلا وجه لها^(١).

وقال: (يجب الحذر كل الحذر من مسألة الضرب فهي مسألة خطيرة يترتب عليها آثار خطيرة خصوصاً إذا لجأ إليها من لا يعرف استخدام الضرب.. فقد يضرب المصروع على أن به جن وما به جن فيقع الضرب على بدن الأدمي وينتج عن ذلك أمور خطيرة. وقد يضرب المريض في أماكن خطيرة، إلى غير ذلك من المحاذير، وقد بالغ بعض القراء في مسألة الضرب وبعضهم يستخدم الصعق الكهربائي وهذا خطأ.. والحاصل أن مسألة الضرب تحتاج إلى مقياس ومعرفة بحيث يعرف متى يضرب وأين يضرب ومقدار الضرب وهل هو محتاج إليه؟ إلى غير ذلك من القيود والضوابط)^(٢).

وقال الأستاذ وائل آل درويش: (والحاصل أنه يؤمر - يعني الجني الصارع - بالمعروف وينهى عن المنكر فتبدأ معه بالترغيب والترهيب والنصح والإرشاد والعلم والتعريف ثم الزجر ثم قد يصل الأمر إلى الضرب والعقاب ثم الحرق بآيات الكتاب، إلا أنه ينبغي أن يتقطن المعالج فلا يستخدم الضرب إلا عن بصيرة وقلب حاضر ونظر ثاقب، إذ من الجن من يفر ويهرب، وقد يترك الجسم ويخرج عند نزول الضرب عليه، فيقع

(١) الدعوة - العدد ١٤٥٦ - فتاوى العلاج بالقرآن والسنة - ص ٦٩.

(٢) فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين - ص ١٣٣.

الضرب على المريض فيشعر به، وهذا واقع مشاهد^(١).
قال بعض الحضور: ولكني قرأت لبعض الأطباء من المسلمين أنه ينكر هذا.. وهو الدكتور محمد بن عبدالله الصغير، وهو استشاري في الطب النفسي، فقد ذكر أنه (لا أحد يستطيع أن يجزم جزماً قاطعاً أن الضرب لا يقع على جسد هذا المريض وإنما يقع على الجان، وليس في ذلك إلا غلبة الظن التي كثيراً ما تخطئ ويقع ضحيتها أناس مرضى مساكين)^(٢).
وذكر أن (حادثة واحدة وقعت لشيخ الإسلام - رحمه الله - لا ينبغي أن تجعل شرعاً وسنة يؤدي على ضوئها عدد غفير من المرضى المساكين)

وذكر أنه (إذا لم يُجد مع المريض الرقية الشرعية وحدها، واحتاج الراقى أن يضم إليها شيئاً من أنواع العلاجات فالأولى والأحكم أن يطلب أن يضم إليها شيئاً من العلاجات الطبية الحديثة التي جُربت ونفعت بإذن الله.. فقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن كثيراً من المرضى الذين ليس فيهم جن إذا ضربوا ضرباً مبرحاً خاصة إذا كانوا مربوطين ولا يستطيعون التخلص فإذا الواحد منهم سرعان ما يقول بلسان نفسه إنه جني ويعاهد على الخروج من أي مكان يريد القارئ، وهدفه أن يتخلص من الضرب الشديد الذي صار أشد عليه من أن يقال له مجنون).
وذكر أنه (هناك أمراض نفسية عصبية - أنواع من الهستيريا

(١) مئة الرحمن في العلاج بالقرآن - ص ٤٤، ٤٥.

(٢) هذا النص وما بعده من كتاب (توعية المرضى بأمر التدوي الرقي) - باختصار - ص ٤٤.

التحويلية - يحصل فيها فقد تام أو شبه تام للإحساس بالألم والحرارة وسائر أنواع الإحساس، بحيث قد لا يحس المريض حتى بأشد أنواع الضرب)

غضب الشيخ غضباً شديداً، وقال - والانفعال باد على وجهه، وهو يحاول إخفاءه -: إن الكلام الذي ذكرته يريد أن يلغي الأمر من أساسه..، واعتقادي الجازم بأن الدكتور قد حكم بهذا الحكم في استخدام هذا الأسلوب بناء على المآسي التي نراها ونسمعها على الساحة اليوم من أخطاء لبعض المعالجين بلغت حدًا يفوق الوصف والتصور، بل قد أدى في بعض حالاته إلى الوفاة.. وقد يعذر الدكتور الفاضل من هذا الجانب، ولكنني أقول بأن هذا العلم له قواعد ومرتكزات رئيسة، ووقوع بعض الأخطاء من قبل بعض المعالجين الجهلة لا يعني مطلقاً أن نلغي وبشكل عام بعض الاستخدامات الحسية النافعة بعد أن تضبط ضبطاً محكماً من قبل المعالج الحاذق المتمرس الذي يعلم أين وكيف ومتى يستخدم هذا الأسلوب دون إيقاع أي ضرر بالمريض، مع مراعاة المسؤولية الطبية في كافة مراحل العلاج.. وكافة النقاط التي أشار إليها الدكتور الفاضل يمكن الرد عليها وإعطاء وجهة نظر مغايرة لما ذكر.

فدعواه مثلاً بعدم فائدة الضرب إن لم تنتفع الرقبة الشرعية فيه نظر حيث أن الجمع في الاستشفاء والعلاج بين الاستخدامات الشرعية والحسية أمر مطلوب وكل له تأثير ومفعول بإذن الله تعالى.

وأما قوله بأنه لا يستطيع المعالج الجزم القاطع بأن الضرب

لا يقع على جسد المريض وإنما يقع على الجان، فقد ذكرت لكم بأن الحديث خاص بالمعالجين السنيين السلفيين الحاذقين المتمرسين.. ولا نقصد الجهلة أو المبتدعة مطلقاً، هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد أكدت أن استخدام هذا الأسلوب - أعني الضرب - لا بد أن يكون وفق قاعدة تحمل المسؤولية الطبية من قبل المعالج بحيث لا يؤدي بأي حال من الأحوال لإيذاء المرضى والمصابين بصرع الأرواح الخبيثة.

أما قوله بأن حادثة واحدة وقعت لشيوخ الإسلام لا ينبغي أن تجعل شرعاً وسنة يؤذى على ضوئها عدد غفير من المرضى المساكين، فهذا الكلام فيه نظر، فشيخ الإسلام علمٌ من أعلام الأمة ولن نكون حريصين بأي حال من الأحوال على هذا الدين وهذه العقيدة كما هو الحال معه - رحمه الله - وهو من أهل الاجتهاد والاستنباط والقياس والاستقراء، لا سيما أننا نتحدث في أمور حسية ليست لها علاقة بالأسباب الشرعية..

أما قوله أنه إذا لم يُجد مع المريض الرقية الشرعية وحدها واحتاج الراقي أن يضم إليها شيئاً من أنواع العلاجات فالأولى والأحكم أن يطلب أن يضم إليها شيئاً من العلاجات الطبية الحديثة، هذا الكلام لا يقدر في أن يضم المعالج المتمرس الحاذق صاحب الصنعة والحرفة هذا الأسلوب - أعني الضرب - في العلاج والاستشفاء مع الأخذ بعين الاعتبار تحقيق المسؤولية الطبية وعدم إيذاء المريض بدنياً أو نفسياً..

أما قوله أنه ثبت بالتجربة والمشاهدة أن كثيراً من المرضى الذين ليس فيهم جن إذا ضربوا ضرباً مبرحاً سرعان ما يقول

المريض بلسان نفسه إنه جني ويعاهد على الخروج، فالتجربة والمشاهدة التي يقصدها الدكتور الفاضل هي لحفنة من جهلة المعالجين الذين ليس لهم كبير جولة، ولا قوي صولة، بل لا يفرقون بين الأمراض العضوية والنفسية والأمراض الروحية، وهؤلاء لا أعنيهم مطلقاً، فالواجب أن يؤخذ هذا العلم بأساليبه وممارساته المنضبطة بالشرع والمحافظة على سلامة المرضى النفسية والبدنية من أصحاب هذه الصنعة الحاذقين المتمرسين فيها.

بعد أن وصل الحديث إلى هذا الحد وصلنا إلى محطة أخرى لنستريح، لكنني لم أستطع أن أنزل، فقد خشيت أن أسمع ما يملؤني حزناً وأسى، فبقيت في مجلسي، وأنا لا أدري هل أتبع ما يمليه علي عقلي.. أم أتبع ما يمليه علي عقل ربي.

محكمة في الغابة

بعد أن انتهت الاستراحة، وركب الركاب الحافلة، وقد نقص منهم نفر كما في المرات السابقة.. أخرج السائق شريطاً جديداً، ثم قال: بعد أن نلتم حظكم من الراحة اسمحوا لنا أن نضع شريطاً آخر.. يبين لكم مدى حرصنا على السنة والسلف.. ومدى بغضنا وحقنا لا على المبتدعة فقط، بل على كل من يقف منهم موقفاً إيجابياً مهما كانت بساطته.. فقد علمنا سلفنا الصالح ألا نتسامح مع أهل البدع مهما كان.. ولهذا فإن فيما ستشاهدونه في الفيديو بعض المشاهد القاسية، فلا ينبغي أن تأخذكم رافة ورحمة في المبتدعة حتى لا تلتحقوا بهم.. فمن رحم مبتدعاً حشر معه.

قال ذلك، ثم أدخل الشريط.. ليبدو مشهد لغابة اجتمع فيها جمع كبير من الناس، وكان أمامهم مجموعة من الأقفاص وضع في كل قفص بعض الشيوخ والشباب، وقد ألبسوا ثياباً أرجوانية من مثل تلك الثياب التي تقام على من يحكم عليهم بالإعدام.

ويقابل تلك الأقفاص كرسي قد جلس عليه شيخ كبير ذو لحية طويلة، وأمامه طاولة صغيرة، أمامها مطرقة.

بدأ الشيخ الحديث بقوله^(١): معشر الحضور الكرام.. لقد عقدنا بفضل الله وعونه هذه الجلسة في هذه الدولة المباركة، لإقامة حكم الله في أهل التميع.. المرجئة الجدد.. الذين يأتون إلى

(١) هذا الكلام منقول بتصرف من شريط لربيع المدخلي بعنوان: (هل الجرح والتعديل خاص برواة الحديث؟)

أصول الإسلام يميعونها، ويرققونها، ويهونون من شأنها، بل يحاربونها.. ويسمون منهج السلف، ووقوف أهله في وجه أهل البدع، والذب عن السنة.. يسمونه شدة وتشدداً وغلواً.. كذبوا.. وأفكروا.. والله الذي لا إله إلا هو لا يوجد شدة الآن في السلفيين المساكين.. ومهما تشدد السلفيون في مواجهة الباطل والبدع لا يبلغون عُشر معشار ما كان عليه السلف من الشدة على أهل البدع لدرجة أنهم يأمرون بقتلهم.. ويطاردونهم.. ويهجرونهم.. ويضربونهم.. ويذلونهم.. نحن السلفيين المعاصرين ما عندنا شيء.. مساكين..

ولكن بحمد الله، وبعد أن أتاح الله لنا هذه الدولة الكريمة التي أعادت إحياء شريعة الله وفق منهج السلف، فسنعود إلى ما كان عليه سلفنا الأول.. لن تأخذنا في المبتدعة، ولا فيمن يواليهم رافة ولا رحمة.. وسنطبق عليهم أشد العقوبات.

ولكننا مع ذلك.. ورعاية للعدل الذي جاء به القرآن، وطبقه نبينا ﷺ.. وطبقه سلفنا الصالح من الخلفاء والأمراء والملوك سنقيم محاكمة عادلة لهؤلاء المميعين.

ومن ترون أمامكم في الأقفاص هم المتهمون، وقد فرقناهم بحسب المشايخ الذين ينتمون إليهم، ويدعون لهم، فبعضهم ينتمي لابن باز.. وبعضهم لربييع المدخلي.. وبعضهم لابن عثيمين.. وبعضهم للألباني..

وسنبداً بمحكمة أتباع ابن باز من المميعين لمنهج السلف^(١)..
 فابن باز - كما تعلمون - من السلفيين ولكن مشكلته أنه - بحكم
 المناصب الكثيرة التي تقلدها - صار من المميعين المرجئين..
 ولهذا وقع في توقيف بعض المبتدعة وخصوصاً الأشاعرة الذين
 ينفون علو الباري ويحرفون الصفات.. ويتخبطون في باب القدر
 سالكين فيها لمسالك الجبرية.. ويناصرون أقوال القبورية في شد
 الرحال والتبرك ونحو هذا من مسائل عقديّة!.. وذلك مع التزامه
 أيضاً لرد إجماع أهل العلم في تكفير الأشعرية..
 وسأبدأ الجلسة بدعوة المدعي للتقدم ليذكر تهمة وأدلته عليها.
 قام رجل من الحاضرين هو أشبه الناس بأبي بكر البغدادي،
 وراح يقول: لقد أحضرت - سيدي القاضي - كل الوثائق المثبتة
 لما أدعيه.. ولذلك لن أبدأ دعواي إلا بعد سوق البينة.. هكذا
 تقتضي العدالة.

قلب بعض الملفات، ثم قال: لقد سئل ابن باز - كما في فتوى
 منشورة في موقعه - هل الأشاعرة من أهل السنة والجماعة أم
 لا؟ وهل نحكم عليهم من المذهب أنهم كفار؟ فأجاب: (الأشاعرة
 من أهل السنة في غالب الأمور، ولكنهم ليسوا منهم في تأويل
 الصفات، وليسوا بكفار، بل فيهم الأئمة والعلماء والأخبار..
 ولكنهم غلطوا في تأويل بعض الصفات.. فهم خالفوا أهل السنة

(١) رجعنا في بيان موقف هؤلاء المتشددين إلى كتاب (من مخالقات الخلف لما كان عليه
 السلف)، لإبراهيم بن رجا بن شقاجي الشمرّي، وهو من السلفية الحدادية.. وهي تتفق مع كل
 أصناف السلفية، ولكنها ترفض مجاملة الآخر، وتعتبر ذلك إرجاء.. وما سنذكره هنا نموذج
 عنها.

في مسائل منها تأويل غالب الصفات، وقد أخطأوا في تأويلها،
والذي عليه أهل السنة والجماعة إمرار آيات الصفات وأحاديثها
كما جاءت)

قال القاضي: فما الذي تنكره عليهم في هذا القول؟
قال المدعي: هذا الكلام مخالف لطريقة أهل الحديث في
التعامل مع المبتدعة، ومخالف لقولهم في الأشعرية، فإن أهل
السنة مجمعون على تكفيرهم، بل ومجمعون على تكفير من لم
يكفرهم، كما قال أبو عبد الله ابن بطة العكبري في (الإبانة
الكبرى): (اعلموا رحمكم الله أن صنفاً من الجهمية اعتقدوا بمكر
قلوبهم، وخبث آرائهم، وقبيح أهوائهم، أن القرآن مخلوق، فكنوا
عن ذلك ببدعة اخترعوها، تمويهاً وبهرجة على العامة، ليخفي
كفرهم، ويستغرض إلحادهم على من قل علمه، وضعفت نحيزته،
فقالوا: (إن القرآن الذي تكلم الله به وقاله، فهو كلام الله غير
مخلوق، وهذا الذي نتلوه ونقرؤه بالسنتنا، ونكتبه في مصاحفنا
ليس هو القرآن الذي هو كلام الله، هذا حكاية لذلك، فما نقرؤه
نحن حكاية لذلك القرآن بألفاظنا نحن، وألفاظنا به مخلوقة)..
فدققوا في كفرهم، واحتالوا لإدخال الكفر على العامة بأغراض
مسلوك، وأدق مذهب، وأخفى وجه، فلم يخف ذلك بحمد الله ومنه
وحسن توفيقه على جهابذة العلماء والنقاد العقلاء، حتى بهرجوا
ما دلسوا، وكشفوا القناع عن قبيح ما ستروه، فظهر للخاصة
والعامة كفرهم وإلحادهم)^(١).

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٥/ ٣١٧)

وقال أبو القاسم اللالكائي في (شرح أصول اعتقاد أهل السنة): سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى، وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأمره أن يتحدث به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على الحقيقة. متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلمًا، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة^(١).

وقد حكى حرب الكرمانى وأبو عبد الله ابن بطة وغيرهما الإجماع على تكفير اللفظية، بل وتكفير من لم يكفرهم. وقد قال أبو عبد الله ابن منده: (ليثق امرؤ، وليعتبر عن تقدم ممن كان القول باللفظ مذهبه ومقالته؛ كيف خرج من الدنيا مهجورًا مذمومًا مطرودًا من المجالس والبلدان لاعتقاده القبيح؟! وقوله الشنيع المخالف لدين الله مثل: الكرابيسي، والشواط، وابن كلاب، وابن الأشعري، وأمثالهم ممن كان الجدال والكلام طريقه في دين الله عز وجل).

وقال الهروي الأنصاري في كتابه (ذم الكلام): (رأيت يحيى ابن عمار ما لا أحصي من مرة على منبره يكفرهم ويلعنهم، ويشهد على أبي الحسن الأشعري بالزندقة، وكذلك رأيت عمر بن

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (ص: ٣٣٠)

إبراهيم ومثائننا)

وقال ابن الحنبلي في رسالته: (الجهمية- لعنهم الله- أصناف مختلفة فمنهم من يقول القرآن ليس هو كلام الله ولا هو مخلوق.. ومنهم من يقول: إنه حكاية عن ذلك القرآن.. ومنهم من يقول بألفاظنا ألفاظنا بالقرآن مخلوقة.. ومنهم من يقول القرآن بألفاظنا مخلوق.. ومنهم من يقول لا يكفر هؤلاء بل يسكت عنهم.. فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية وهم كفار زنادقة حلال القتل.. ومن لم يكفر هؤلاء الأصناف كلها فهو كافر زنديق حلال القتل) وبناء على هذا، فقول ابن باز عن الأشاعرة أنهم (ليسوا بكفار، بل فيهم الأئمة والعلماء والأخيار) غلط عظيم! وتوقير لأعداء الدين، وقد قال محمد بن عبد الوهاب في (مفيد المستفيد): (قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح: أخبرني غير واحد، أن أسد ابن موسى كتب إلى أسد بن الفرات: (اعلم يا أخي، أن ما حملني على الكتاب إليك، إلا ما ذكر أهل بلدك، من صالح ما أعطاك الله، من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدع، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهار عيبيهم، والطعن عليهم، فأذلهم الله بيدك، وصاروا ببدعتهم مستترين.. فأبشر يا أخي بثواب ذلك، واعتد به من أفضل حسناتك، من الصلاة والصيام، والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال، من إقامة كتاب الله، وإحياء سنة رسوله ﷺ.. وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ، أو جليس، أو صاحب، فإنه جاء في الأثر: (من جالس صاحب بدعة نزعته منه العصمة، ووكل إلى نفسه)،

(ومن مشى إلى صاحب بدعة، مشى في هدم الإسلام)، وجاء:
(ما من إله يعبد من دون الله، أبغض إلى الله، من صاحب هوى)،
وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا
يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، ولا فريضة ولا تطوعاً، وكلما زادوا
اجتهاداً وصوماً وصلاة، ازدادوا من الله بعداً، فرفض مجالسهم،
وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله، وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة
الهدى بعده)

أه ليت شيخنا محمد بن عبد الوهاب كان حاضرًا ليرى
المياعة التي تحول إليها من يزعمون أنهم أتباعه..

قام المحامي، وقال: ائذن لي - حضرة القاضي - أن أجيبه.
أذن له القاضي، فقام، وقال: أظن أن المدعي لم يطلع على
كل ما كتبه الشيخ عبد العزيز بن باز.. وقد اقتصر على كلمات
قالها في محفل من المحافل من باب المجاملة، لا من باب
الحقيقة، وإلا فإن الشيخ ابن باز من أكثر الناس تشددًا مع
المبتدعة جميعًا، بما فيهم الأشاعرة، وقد قال في فتوى صوتية له:
(الأشاعرة من أهل البدع، عندهم بدع كثيرة فليسوا من أهل
السنة، لكنهم وافقوا أهل السنة في بعض الأشياء)..

قام المدعي غاضبًا، وهو يقول: ألا ترى - حضرة القاضي -
مدى الاضطراب الذي تعاني منه هذه الطائفة المارقة الظاهرة في
ضلالها.. وهو دليل على عدم رسوخها في مذهب السلف.. وقد
سئل عبد الوهاب الوراق عن لا يكفر الجهمية؟ فقال: (لا يصلي
خلفه هذا ضال مضل متهم على الإسلام)، والأشاعرة المتأخرون
ليسوا جهمية فقط، بل هم من أشد الجهمية كفرًا، فإن نفاة العلو

هم الغلاة في التجهم، كما قال الحسن بن موسى الأشيب: (الجهمي إذا غلا، قال ليس ثم شيء)، وأشار الأشيب إلى السماء. وقال ابن خزيمة: (من لم يقل إن الله فوق سماواته، على عرشه، بآئن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه، ثم ألقى في مزبلة).

التفت إلى الحضور، وقال: قارنوا - معاشر السلفيين المحترمين - بين أقوال أهل العلم في منكري العلو، وبين صنيع ابن باز لما علق على قول ابن حجر في فتحه: (فيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته).. فقال: (ليس في الحديث المذكور رد على من أثبت استواء الرب على عرشه بذاته).

وكذلك لما وقف على قول ابن حجر: (لا يتوجه عليه - سبحانه- في وجوده أين وحيث) فقد علق قائلاً: (الصواب عند أهل السنة وصف الله بأنه في جهة العلو)

وكذلك لما وقف على قول ابن حجر: (لفظ الصوت مما يتوقف في إطلاق نسبته إلى الرب) قال: ليس الأمر كذلك بل إطلاق الصوت على كلام الله سبحانه قد ثبت.

والحق أن من لم يثبت الصوت للباري فهو جهمي، كما قال بعضهم أمام الإمام أحمد: (من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت، فهو جهمي، عدو لله، وعدو للإسلام)، فتبسم أبو عبد الله، وقال: (ما أحسن ما قال! عافاه الله).

ونقل عبد الله عن والده الإمام أحمد قوله عن الصوت: (الجهمية تنكره، وهؤلاء كفار، يريدون أن يموهوا على الناس، من زعم أن الله لم يتكلم، فهو كافر؛ إنما نروي هذه الأحاديث كما

جاءت).

قلب بعض الملفات، ثم أخذ واحدًا منها، وقال: ليس هذا فقط ما قام به ابن باز من تمبيع المذهب السلفي.. تصوروا الطامة التي وقع فيها..

نظر إلى الملف، ثم قال: انظروا ماذا قال هو ومن معه من أعضاء ما تسمى نفسها (هيئة كبار العلماء)، لقد قال: (موقفنا من أبي بكر الباقلاني والبيهقي وأبي الفرج بن الجوزي وأبي زكريا النووي وابن حجر وأمثالهم ممن تأول بعض صفات الله تعالى أو فوضوا في أصل معناها أنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عنا خير الجزاء وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطؤوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله تعالى سواء تأولوا الصفات الذاتية وصفات الأفعال أم بعض ذلك، وبالله التوفيق).

انظروا - عافاكم الله من البلاء- إلى قولهم عن نفاة العلو للعلي القهار (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة)!! واستحضروا جيدًا قول ابن سحمان في كشف الشبهتين: (فهذا التلطف والشفقة والرحمة لا يجوز أن يعامل بها من ينكر علو الله على خلقه، ويعطل أسماءه وصفاته، بل يعامل بالغلظة والشدة والمعادة الظاهرة).

وبإسناده عن بعض السلف قال: (من أتى صاحب بدعة

ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام).
وعن آخر: (تقربوا إلى الله ببيغض أهل المعاصي، والقوهم
بوجوه مكفهرة، والتمسوا رضى الله عنكم بسخطهم).
أما الجهمية والأشاعرة ومن لحق بهم أو لم ينكر عليهم..
فالرفق بهم، والشفقة عليهم، والإحسان، والتلطف، والصبر،
والرحمة، والتبشير لهم، مما ينافي الإيمان، ويوقع في سخط
الرحمن؛ لأن الحجة بلغتهم منذ أزمان.
انظروا جيداً الفرق بين هؤلاء المميعين وبين قول حمود
التويجري- رحمه الله تعالى- في (ذيل الصواعق)، فقد قال: (لا
ينبغي تسمية أعداء الله باسم العلماء؛ لأن هذه التسمية لا تليق
بهم، ولا تطابق حالهم).
قام المحامي، وقال: اسمح لي حضرة القاضي أن أعقب على
هذه النقطة..

أذن له القاضي، فقلت بعض الصفحات من ملف يحمله،
ونظر إليها، ثم قال: سيدي القاضي.. إن ابن باز لا يخفى عليه
أن نفي العلو كفر وردة.. وقد قال في شرحه للحموية: (من أنكر
أن الله في السماء أو أن الله فوق العرش فقد كفر.. هذا إجماع
أهل السنة والجماعة)، وقال في شرحه لكشف الشبهات:
(الحاصل أن الإنسان إذا أتى بكفر قولي أو فعلي أو قلبي من شك
ونحوه كفر حتى لو قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله لكن عندي شك
هل الجنة حق.. أو شك في أن الله في السماء أو فوق العرش أو
ما هو فوق العرش يكفر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله).

وقال في فتوى صوتية له لما سئل عن: حكم من خدم السنة

وشرح كتب السنة لكنه أنكر صفة من صفات الله كالعلو؟ فقال ابن باز: هذا مكذب بالقرآن! من يقل إن الله في كل مكان فهو يكذب بالقرآن، الله تعالى يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (طه: ٥)، ويقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (فاطر: ١٠)، هذا مكذب بالقرآن.. ثم سئل: هل يكفر بعينه؟ فقال: ما فيه شك! بعينه).

قال القاضي للمحامي: ها أنت تراه يصرح بكفر الأشاعرة، الذين ينكرون العلو.. فما تقول؟.

قال المدعي: اسمعني جيداً سيدي القاضي، واسمعوني معاشر الحضور.. أنا لا أنكر أن ابن باز وهيئة كبار العلماء بل كل السلفيين في العالم يتفقون معنا على هذا.. ولكننا ننكر عليهم التميع.. لقد قال ابن بطة في (الإبانة الصغرى)، والتي حكى عليها إجماع السلف: (ومن السنة: مجانية كل من اعتقد شيئاً مما ذكرناه، وهجرانه، والمقت له، وهجران من والاه ونصره، وذبح عنه، وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة).

وابن باز ولا يخفى عليه أن الرجل لا يصير سنياً حتى يعتقد السنة ويتبرأ ممن خالفها من الفرق! فقد قال كما في فتوى له ولمن معه في اللجنة: (من كان يدعو إلى كتاب الله تعالى وإلى ما ثبت عن رسول الله ﷺ من الأحاديث، ويعمل بذلك في نفسه، وينكر ما خالف ذلك ويجتهد في إزالة ما أحدث من البدع، ويتعاون مع أهل السنة ويواليهم ويعادي أهل البدع وينكر عليهم ما ابتدعوه في الإسلام على بينة وبصيرة - فهو من أهل السنة والجماعة)، ومع هذا كله فابن حجر عنده وعند أصحابه (من

كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم فرحمهم الله رحمة واسعة).. هذا وقد قال البربهاري في شرح السنة التي قال عنها: (جميع ما وصفت لك في هذا الكتاب فهو عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ وعن التابعين وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع، قال- رحمه الله تعالى- فيها: (إذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء فاحذره واعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه فإنه صاحب هوى)، وقال إمامنا أحمد بن حنبل لما سأله أبو داود: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة، أترك كلامه؟ فقال- رحمه الله تعالى-: (لا أو تعلمه أن الرجل الذي رأيتَه معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه).

قال المحامي: ولكن ابن باز يردد نفس الكلام.. فقد قال لما سئل في شرح فضل الإسلام: الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟ فأجاب: (نعم ما فيه شك من أثنى عليهم ومدحهم وهو داع إليهم، هو من دعائهم).

وقال في شرح كتاب التوحيد: (الذي يؤوي أهل البدع والمعاصي وينصرهم يكون ملعوناً والعياذ بالله).

قال المدعي: هذا مجرد كلام.. لكنه في مواضع أخرى كثيرة يخالفه مخالفة صريحة..

انظروا ماذا قال في الباقلاني الجهمي الأشعري الكافر.. لقد اعتبره (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم)، وهو يصادم في ذلك قول المتقدمين الذين خبروا حال هذا الرجل وبينوا حاله وضلاله، فقد قال أبو بكر الزاذقاني: كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرايني، وكان ينهي أصحابه عن الكلام،

وعن الدخول على الباقلاني؛ فبلغه أن نفراً من أصحابه يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام؛ فظن أنني معهم ومنهم؛ فقال لي: يا بني، قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل - يعني الباقلاني - فإياك وإياه؛ فإنه مبتدع يدعو الناس إلى الضلالة، وإلا فلا تحضر مجلسي؛ فقلت: أنا عائد بالله مما قيل، وتائب إليه، وأشهدوا علي أنني لا أدخل إليه.

وانظروا ماذا قال في البيهقي الجهمي الأشعري الكافر، لقد ذكر أنه (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم).. وهذا غير صحيح، بل الرجل أشعري مشهور، وقد قال في كتابه الأسماء والصفات: (الباري جل ثناؤه.. كلامه ليس بحرف ولا صوت!) وقد سبق حكم منكر الصوت.

وقال في الأسماء والصفات: (الله تعالى لا مكان له!) وقد حكى حرب الكرمانى الإجماع على أن: (الجهمية أعداء الله: هم الذين يزعمون.. أن الله لا يعرف لله مكان)

بل إنه في الأسماء والصفات قال عن حديث استلقاء ربنا سبحانه وتعالى^(١): (إن صح طريقه يحتمل أن يكون النبي ﷺ

(١) يقصدون به الحديث الذي رواه أبو يعلى الفراء في (إبطال التاويلات ١/١٨٧)، فقد ورى بسنده عن قتادة بن النعمان، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه، واستلقى، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، وقال: إنها لا تصلح لبشر..)، ونفس الحديث رواه عن محمد بن قيس، قال: جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دق الله فأك أنتسل عن هذا؟ قال لكعب: دعوه فإن بك عالماً أزداد، وإن بك جاهلاً تعلم، سألت أين ربنا وهو على العرش العظيم متكئ واضع إحدى رجليه على الأخرى.

حدث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار فلم يفهم عنه قتادة بن النعمان إنكاره، وقد قال ابن القيم في (الصواعق) ردًا على هذا القول الساقط: (أي نسبة جهل واستجهال لأصحاب رسول الله ﷺ فوق هذا؟! أنه لا يميز أحدهم بين كلام رسول الله ﷺ وكلام الكفار والمشركين، ويميز بينهما أفراس الجهمية والمعطلة! وكيف يستجيز من للصحابة في قلبه وقار وحرمة أن ينسب إليهم مثل ذلك!؟).

وهكذا نجد في مواقفه من جميع المتكلمين كابن الجوزي وابن حجر والنووي وغيرهم.. مع أنه يعلم تمامًا أنه لا عذر لعالم بالجهل، وقد قال في فتاوى (نور على الدرب): (ليس في العقيدة والتوحيد توحيد الربوبية والإلهية والأسماء والصفات ليس فيها عذر.. يجب على المؤمن أن يعتقد العقيدة الصحيحة.. وليس له عذر في التساهل في هذا الأمر إلا إذا كان بعيدًا عن المسلمين في أرض لا يبلغه فيها الوحي فإنه معذور في هذه الحالة وأمره إلى الله ويكون حكمه حكم أهل الفترات.. وأما كونه بين المسلمين ويبقى على الشرك وإنكار الأسماء والصفات فهذا غير معذور بالجهل).

فهل ترون - معشر الحضور- أن ابن الجوزي لم يبلغه القرآن فيعذر في نفيه لعلو الله وغير ذلك من الصفات.. ورحم الله عمر بن عبد العزيز القائل: (قف حيث وقف القوم؛ فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا.. فما فوقهم محسر، وما دونهم مقصر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم).

اسمعوا الطامة الكبرى التي نطق بها ابن باز حين قال عن النووي: إنه (من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم).. هل رأيتم مدى التميع الذي وصل له؟! .
لقد قال محمد بن هادي المدخلي: (كذاب الذي يقول النووي سلفي! والله كذاب حتى يموت.. هو أشعري جلد من أول كتاب مسلم إلى آخره).

قال المحامي: ولكن ابن باز ومعه لم يحكموا على المذكورين بكونهم من أهل السنة مطلقًا، بل ذكروا (أنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف في القرون الثلاثة).

قام المدعي غاضبًا، وقال: ما أجمل ما تقول.. منذ متى صارت السنة والسلفية تنفتت.. السنة والسلفية- معشر الحضور- شيء واحد.. فإما أن نأخذ بها جميعًا، أو ندعها جميعًا..
لقد قال عتبة الغلام، وصدق: (من لم يكن معنا فهو علينا).
فهذه الموازنة رأي محض وليست من العلم في شيء؛ لأن عبد الله بن عمر قال: (العلم ثلاثة: كتاب ناطق، وسنة قائمة، ولا أدري).

وقد نهينا عن النظر في الرأي واتباعه، كما قال عطاء: (ليس الدين بالرأي لكنه السمع).

والمقصود أنه لا يصير الرجل مهتديًا حتى يلزم السنة ولا يخرج عن أصولها ولو في أصل واحد، كما قال سعيد بن جبير: (لزم السنة).. فمن لم يلزم أصول السنة كلها لم يكن مهتديًا، بل يصير ملتحقًا بركب أهل الضلال والهلكى، كما قال عبد الله بن

مسعود: (بجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا يعني مفصل الأئمة فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى).

قال المحامي، وهو يقلب بعض الملفات: هذا عينه ما ذكره ابن باز، حيث قال في فتوى منشورة له: (من فعل بدعة؛ يقال له: مبتدع؛ هذا هو الأصل؛ من فعل بدعة؛ يقال له: مبتدع. لكن إذا كان جاهلاً يعلم، ومتى تاب لا يسمى مبتدعاً، وإذا أصر؛ يسمى: مبتدع).

ثم قلب ملفات أخرى، وقال: وقد سئل ابن باز: يقول الناس: إن ابن تيمية ليس من أهل السنة والجماعة، وإنه ضال مضل، وعليه ابن حجر وغيره، هل قولهم صدق أم لا؟

فأجاب: (إن الشيخ أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية إمام من أئمة أهل السنة والجماعة، يدعو إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، قد نصر الله به السنة وقمع به أهل البدعة والزيغ، ومن حكم عليه بغير ذلك فهو المبتدع الضال المضل، قد عميت عليهم الأنباء، فظنوا الحق باطلاً، والباطل حقاً، يعرف ذلك من أنار الله بصيرته وقرأ كتبه وكتب خصومه وقارن بين سيرته وسيرتهم، وهذا خير شاهد وفاصل بين الفريقين، وبالله التوفيق).

قام المدعي غاضباً، وقال: ألا ترى سيدي القاضي هذه المكابيل المزروجة التي يحكم بها هؤلاء.. فالذي ينفي علو الله ويحرف الصفات ويرمي السلف بالتفويض ويطعن في الجارية التي قالت: (إن الله في السماء)، وينحى إلى الإرجاء ويسلك طرق التصوف، وهو ابن الجوزي يعتبرونه (إماماً فاضلاً، وعالمًا جليلاً).

أما من يتكلم في ابن تيمية ولا يعتقد فيه الإمامة فهو مبتدع
بلا مثوية!!

يا قوم قليلاً من التقوى! هل ابن تيمية أعز عليكم من الله!؟

بعد أن انتهى المدعي من توجيه التهم لأتباع ابن باز التفت
إلى القاص الذي اجتمع فيه أتباع الألباني، وراح يقول: أما أنتم يا
ألبانيين.. فجرائمكم وجرائم شيخكم لا تقل عن البازيين..
فمخالفات شيخكم في نفسه لأهل السنة في باب الصفات
كثيرة، فضلاً عن مخالفاته لأهل السنة في باب التعامل مع أئمة
التجهم والضلال.

فشيخكم الألباني لفظي، يصرح بذلك ولا يستخفي، فقد قال في
سلسلته الصوتية: قول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾
[الإخلاص: ١] هو كلام الله لكن أنا لما أتكلم فيه هو مخلوق،
لفظي أنا مخلوق) إن هذه الكلمة وحدها - معشر الألبانيين -
تكفي لإدانتهم وإدانتكم وتكفيره وتكفيركم..

بالإضافة إلى هذا فشيخكم ممن يقول بأن الله معنا بذاته، فقد
قال في شريط رقم (٧٢٤) من سلسلته: (الله مع المتقين معية
ذاتية لا كيفية لها)

وقد ذكر حمود التويجري في رده على من قال بالمعية الذاتية
قول المروذي: قلت لأبي عبد الله: إن رجلاً قال أقول كما قال
الله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]
أقول هذا ولا أجازه إلى غيره، فقال أبو عبد الله: هذا كلام
الجهمية، بل علمه معهم فأول الآية يدل على أنه علمه.

وعقب عليه بقوله: (ليتأمل المبتلى بمخالفة أهل السنة والجماعة كلام الإمام أحمد حق التأمل حتى يعرف من كان يقول بالمعوية الذاتية من أهل البدع والضلال ، وأنهم شر أهل البدع).
وسئل ربيع المدخلي: (هل صحيح بأن الله استوى على العرش بذاته وأنه معنا بذاته؟ فقال ربيع: الله على العرش ومعنا بعلمه وسمعه وبصره لا بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؛ لأن هذا قول أهل الحلول وقد كفرهم السلف)^(١).

بالإضافة إلى هذا فالألباني ممن يرد أثر مجاهد ويتواضح في ذلك، فقد قال في (السلسلة الضعيفة): (اعتقاد أن الله يجلس محمداً معه على العرش باطلاً بداهة)، وقال: (ومن العجائب التي يقف العقل تجاهها حائراً أن يُفتي بعض العلماء من المتقدمين بأثر مجاهد.. وإن مثل هذا الغلو لما يحمل نفاة الصفات على التشبث بالاستمرار في نفيها، والطعن بأهل السنة المثبتين لها، ورميهم بالتشبيه والتجسيم ودين الحق بين الغالي فيه والجافي عنه).

التفت إلى القاضي، وقال: ألا ترى سيدي هذه الجرأة على السلف، فالأئمة الذين أجمعوا وتلقوا أثر مجاهد بالقبول عند الألباني المأفون أصحاب غلو وعجائب ويقولون بما هو باطل بداهة! ولا أدري هل للسفيه تعريف أجمع من هذا التعريف؟! فأف للألباني ما أشد غروره وتعالمه، علماً بأن الأئمة لم يقولوا فقط بأثر مجاهد رحمه الله تعالى، بل امتحنوا الناس به وأخرجوا من نفيه من السنة وبدعوه، فهم على مقتضى قول الجهول ظلمة

(١) الذريعة ج ٣ ص ٦٢.

أيضاً.. وحاشا السلف والأئمة من هذه الافتراءات والبهتان.

كانت المحاكمة طويلة جداً، ولا يمكنني بثها لكم جميعاً، فقد اتهم فيها كل من نعرفهم من كبار السلفية بالتميع، ثم حكم عليهم بعد ذلك بما حكم به على المبتدعة أنفسهم، وهو الحرق. وقد حضر لذلك مسبقاً، حيث أنه بمجرد أن نطق القاضي بالحكم، أشعلت النيران على تلك الأفاص.. ولوحظت البهجة الشديدة على القاضي والمدعي وكثير من الحضور. أما السائق، فقد كان يكبر بزهو وخيلاء.. وأما صاحبي ربيع، فقد امتلأ فرحاً وسروراً لا أستطيع التعبير عنه.

أما ركاب الحافلة، فقد امتلأوا رعباً.. ولهذا بمجرد أن توقفت الحافلة فروا هاربين لا يلوون على شيء، وقد تركوا بعض حقائبهم، ولم نرهم بعد ذلك.

سنن الأكل

بعد أن نزل جميع المسافرين من الحافلة، ولم يبق إلا نحن الثلاثة: أنا وربيع والسائق، قال لنا السائق: مكافأة لكم على صدقكم، وأدبكم مع العلماء، سأمر بكم بعد نصف ساعة على مطعم من مطاعم إخواننا من السلفيين الأثريين مشهور بحفظ السنة وقمع البدعة.. وهو مختص بسنة من سنن الأكل قد فرط فيها أهل هذا الزمان، لكني بحمد الله لا أتوقف عن إحيائها كل حين، بل في كل يوم غير عابئ بما يذكره العصرانيون والعقلانيون والقرآنيون من شبههم المقيمة حول الكوليسترول وغيره.. فالسنة لا يعرفها إلا المحدثون، ولا شأن للعصرانيين ولا العقلانيين ولا القرآنيين بها.

قال ربيع: بورك فيك وفي إخلاصك وصدقك.. فما هي عسانا نوفق لما وفقت له من إحيائها؟

قال السائق: لن أتحدث عنها أنا.. سأدع فحلاً من فحول السنة يحدثكم عنها.. لقد قمت بتسجيل حديثه فيها أثناء تطبيقنا لها.

وضع شريطاً على التلفزيون ظهر فيه علم من أعلام السلفية الكبار، ضخم الجثة، يضع يديه على شاة مسلوقة، ويختار ذراعها، ويحمله بيده، ثم يقربه من فمه، وينشب فيه أنيابه وأضراسه، ثم يقول، والدهون تتقاطر على لحيته: انظروا إلى هذه الذراع.. إن أكلها سنة من أعظم السنن.. لقد ورد في الأحاديث أن رسول الله ﷺ كان يحبها، فقد حدثنا خلفنا عن سلفنا عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرغ إليه

الذراع، وكانت تعجبه.. الحديث^(١).

ثم أخذ كتف الشاة، وقال: وأكل هذه أيضًا من السنة، فعن عمرو بن أمية الضمري، قال رأيت رسول الله ﷺ يحتز من كتف شاة، فأكل منها^(٢).

وبعد أن التهم ما التهم.. نادى بأن تقدم له كبد مشوية، وهو يصيح: هيا.. أسرعوا بالسنة الثالثة، فقد ورد في الحديث عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال كنا مع النبي ﷺ.. فاشتري شاة فصنعت وأمر النبي ﷺ بسواد البطن أن يشوى^(٣) وسواد البطن كبد الشاة.

بعد أن التهمها جميعًا، طلب أن يقدم له جنب شاة مشوية.. فالتهمها، وهو يقول: إن هذا أيضًا من السنة، فقد حدثت أم سلمة أنها قربت إلى رسول الله ﷺ جنبًا مشويًا فأكل منه ثم قام إلى الصلاة وما توضحأ^(٤).

وبعد أن التهمها جميعًا نادى أن يقدم له بعض الدجاج، وهو يقول: أسرعوا لنا بالدجاج، فأكله أيضًا من السنة، فقد ورد في الحديث عن أبي موسى الأشعري، قال رأيت النبي ﷺ يأكل دجاجًا^(٥).

لكن الرجل المكلف بإطعامه، اعتذر له بأن الدجاج غير

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

(٤) "رواه الترمذي وقال (١٨٢٩) حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه..

(٥) رواه البخاري (٥٥١٧) ومسلم (١٦٤٩)..

موجود، فعبس في وجهه، وهو يقول: ما كان هذا عهدي بكم، في
المرات الماضية كانت كل السنن متوفرة.. ما بالكم اليوم؟
قال الرجل: ظروف تمر بنا.. فاعذرنا.. وسنعوضها إن شاء
الله في المرة القادمة.
لكن شاباً من الحاضرين قال للشيخ: هلا سمحت لي سيدي
بسؤال.

قال الشيخ: سل ما بدا لك.. فقد زكاني بحمد الله كل العلماء
المعاصرين.. ولدي منهم إجازات.. بل إن بعضهم وصفني،
فقال: (هو السنة تمشي).. وبعضهم ذكر بأن لحمي صار من
اللحوم المسمومة التي يحرم نهشها، أو الاقتراب منها.
قال الشاب: لقد قرأت في بعض المراجع بأن رسول الله
ﷺ كان يعصب الحجر على بطنه من الجوع.. فهل ذلك
صحيح؟

قال الشيخ: أجل، لقد ثبت ذلك في عدة أحاديث منها ما رواه
أحمد بإسناد صحيح عن جابر قال: لما حفر النبي ﷺ
وأصحابه الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي ﷺ على
بطنه حجراً من الجوع.

ومنها ما رواه مسلم عن أنس قال: جئت رسول الله ﷺ
يوماً فوجدته جالساً مع أصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه
بعصابية، قال أسامة (أحد رواة الحديث): وأنا أشك على حجر،
فقلت: لبعض أصحابه: لم عصب رسول الله ﷺ بطنه؟ فقالوا:
من الجوع.

وكذلك ما رواه الطبراني في معجمه الكبير والأوسط عن

أنس قال: أتى أبو طلحة أم سليم، وهي أم أنس، وأبو طلحة رابته، فقال: عندك يا أم سليم شيء فإني مررت على رسول الله ﷺ وهو يقري أصحاب الصفة سورة النساء وقد ربط على بطنه حجراً من الجوع... إلى آخر الحديث بطوله.

قال الشاب: وقد سمعت أيضاً بأن رسول الله ﷺ كان لا توقد النار في بيته المدد الطويلة..

قال الشيخ: أجل ذلك صحيح.. لقد ذكرت أم المؤمنين عائشة حياتها مع النبي ﷺ، فقالت: (كان يأتي علينا الشهر، وما نوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والماء، إلا أن نوتى باللحم)^(١)، وقالت: (والذي بعث محمداً بالحق نبياً ما رأى منخلأ، ولا أكل خبزاً منخولاً، منذ بعثه الله إلى أن قبض، قيل: كيف كنتم تصنعون؟ قالت: كنا نقول أف أف)^(٢).. وقالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعاً حتى مضى لسبيله^(٣).. وقالت: ما اجتمع في بطن رسول الله ﷺ طعامان قط، إن أكل لحمًا لم يزد عليه، وإن أكل تمرًا لم يزد عليه، وإن أكل خبزًا لم يزد عليه^(٤).

قال الشاب: فقد ثبت بقولك هذا سيدي أن رسول الله ﷺ لم يكن يأكل من أمثال هذه المآكل إلا على سبيل الندرة.. وأنه في أكثر حياته كان زاهدًا أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى.. بل إنني

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.. والأقوال التي تلي قولها هذا روايات في الحديث، وقد اخترنا اعتبارها أحاديث قائمة بذاتها.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري ومسلم والبيهقي.

(٤) رواه ابن سعد.

على حسب ما طالعت من سيرته كان أفقر من أفقر الفقراء عندنا.

قال الشيخ: اسكت ويليك.. ما تقول.. نعم هو لم يكن يتعم في الدنيا بمثل ما نتعم به.. ولكن ذلك كان خاصاً به.. فالله تعالى خصه بهذا الأمر حتى لا تشغله الدنيا عن رسالته.. اسمع كيف يخاطبه الله تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر: ٨٨)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقَ رَبُّكَ خَيْرًا وَأَبْقَىٰ﴾ (طه: ١٣١). بل إن نساء النبي ﷺ اشتكين من شدة العيش التي كن يعشنها، فنزل القرآن الكريم يخبرهن بين تلك الحياة التي فرضت على رسول الله ﷺ بحكم وظيفته الخطيرة، وبين السراح للتمتع بما شئن من الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٨-٢٩). ويدل لهذا من السنة ما وراه أحمد، والبيهقي في الشعب، وابن أبي حاتم والدلمي عن عائشة قالت: ظل رسول الله ﷺ صائماً، ثم طوى، ثم ظل صائماً، قال: (يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد، ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهاها، والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم، فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الاحقاف: ٣٥).. والله لأصبرن جهدي،

ولا قوة إلا بالله). وروى أحمد في الزهد، وابن أبي حاتم، والحاكم، وابن مردويه، عن أم عبد الله بنت شداد بن أوس أنها بعثت إلى رسول الله ﷺ بقدر لبن عند فطره، وهو صائم فرد إليها رسولها، أنى لك هذا اللبن؟ قالت: من شاة لي، فرد إليها رسولها، أنى لك الشاة؟ فقالت: اشتريتها من مالي، فشرب منه، فلما كان من الغد أتته أم عبد الله، فقالت: يا رسول الله بعثت إليك بلبن، فرددت إلي الرسول فيه، فقال لها: (بذلك أمرت الرسل لا تأكل إلا طيبا، ولا تعمل إلا صالحا)، ولهذا خرج ﷺ من الدنيا ولم يشبع..

أما نحن فقد ورد الأمر الإلهي إلينا صريحا بأن نعب من الدنيا من أبوابها الحلال جميعا، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢]. قال ذلك، ثم نظر إلى الشاب بجفاء، وقال: أرى أن بك لوثة من الصوفية.. فهم الذين يركزون على أمثال تلك الأحاديث ليضيقوا علينا ما وسعه الله من ديننا.. وقد نسوا أن الله جعل لنا - معشر السلفيين الأثريين أصحاب الفرقة الناجية- الدنيا والآخرة نتنعم فيهما جميعا.

الخاتمة

ما وصل الشيخ إلى حديثه هذا حتى وصلنا إلى المطعم الذي حدثنا عنه السائق، وقد كان ممتلئاً بأمثال الشيخ، يحضر لذلك المطعم ليطبق أمثال تلك السنن.

ومن العجيب أنهم كلهم ضخام الجثث، يذكرونك بما ورد في الأثر: (ن الله يبغض الحبر السمين)^(١).

بعد أن دخلنا المطعم، ورأيت تلك الوحوش البشرية وهي تلتهم فرائسها بشره شديد، سدت علي نفسي، ولم أطق أن أكل قليلاً أو كثيراً..

رأني السائق، فقال: ما بالك.. أيك لوثة من الصوفية أو الزهاد.. أولئك المجرمين الذين حرفوا الدين.

قلت: لا.. إنما هي علة أصابنتي سدت علي نفسي.. فلم أطق أن أكل قليلاً أو كثيراً.

قال السائق: عرفتها.. أنت مسحور بلا شك.. إن شئت أن أعرضك على بعض الرقاة من أصدقائي.. فسيخلصونك من جميع السحرة والعماريت.

قلت: لا.. إنما هي حالة طارئة.. فلا تقلق علي.

قال السائق: لا بأس.. لكن لا تتردد إذا وصلت إلى بلدك أن تزور الرقاة ليخلصوك من السحرة والعماريت.

بعد أن التهم صديقي مع السائق كل ما شاءت لهما نفسيهما

(١) رواه ابن أبي حاتم في التفسير (١٣٤٢/٤)

من أنواع اللحوم، ركبنا الحافلة لنواصل الطريق.. لكننا ما إن سرنا قليلاً حتى شعر صاحبي بألم شديد.. مما اضطر السائق إلى التوقف والنزول من الحافلة، وهناك امتدا على جانب الطريق، وهما بين الحياة والموت من شدة الألم. انتظرت وقتاً طويلاً إلى أن مرت بنا في تلك الطريق الصعبة والنائية حافلة، فأوقفتها، وقد كانت المفاجأة أنها الحافلة الأولى التي حصل لنا مع سائقها ما حصل..

نزل السائق، ونزل معه بعض الركاب، وحملوا صاحبي.. عندما سارت بنا الحافلة رأيت عالماً جميلاً يختلف تماماً عن العالم الذي كنت فيه.. لقد رأيت الإيمان والتقوى والمحبة تشع بين أساريهم..

وقد صادف أن سمعنا في الوقت الذي ركبنا فيه قصائد جميلة في مدح رسول الله ﷺ طربت لها كثيراً.. وكان الكل يطرب لذلك، ويردد مع المنشدين..

وقد التفت إلى صاحبي ربيع، وهو يئن بصوت خافت، ويحاول أن يرفع صوته، لكنه لا يستطيع.. قربت أذني من فمه لأسمع ما يردد، فإذا به يقول: (شرك.. شرك.. شرك)

بعد أن أنهى حديثه، سألته عن حال السائق وربيع، فقال: لقد اضطررت مرة إلى الذهاب إلى الجنوب، وقد صادف أن ركبت من غير أن أقصد حافلته، وقد عجبت عجباً شديداً من الحال التي تحول إليها.. فقد حلق لحيته ووضع قلادة على رقبته.. وبمجرد أن ركبنا وضع موسيقى صاخبة آدت بعض الحضور، فطلب منه

أن ينقص الصوت، فرفض، وقال: من يعجبه السماع يركب معنا، ومن لم يعجبه فالحافلات كثيرة.
تعجبت من حاله، واقتربت منه، وقلت: ألست أنت الذي ركبت معك مرة، وأصابك ما أصابك من اللحوم المسمومة؟
حدق النظر في، وقال: أهلاً وسهلاً.. كيف حالك؟ أجل ذلك هو أنا.

قلت: ألا ترى أنك تغيرت كثيراً؟
قال: بلى.. لقد رأيت من الأسلم لي عند ربي.. وحتى أضمن الجنة أن أعيش مع المنحرفين الفاسقين.. فذاك أرحم لي.. لأنني رأيت أن كل أصحاب اللحوم المسمومة يكفر بعضهم بعضاً، بينما المنحرفون والفاسقون لا يجرؤ أحد على تكفيرهم.. وقد دعاني ذلك إلى اختيار هذا السبيل.. فلأن أموت فاسقاً خير من أن أموت كافرًا.. نعم قد أعذب قليلاً في الآخرة.. ولكني إن اتبعت أصحاب اللحوم المسمومة فسأعذب لا محالة أبد الأبد.

قلت: وما حال صديقك ربيع؟
قال: لقد التحق مع كثير من رفاقه بتنظيم الدولة الإسلامية، وبمجرد انضمامه إليهم، اختلفوا في بعض اللحوم المسمومة، فقام بتفجير نفسه فيهم.. فمات وماتوا جميعاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة
٦	التهدب والتصفية
٢٤	اغتبال العقول
٤١	مفهوم المخالفة
٥٢	الافتتاح الديني
٦٨	أحلام سلفية
٨١	عفاريت وسحرة
١٠٠	محكمة في الغاية
١١٩	سنن الأكل
١٢٥	الخاتمة
١٢٨	فهرس الكتاب